

رواية

العالمون في جهنم

الإهداء

كنت أحاول دوماً أن أشير بأني هنا لكن لم يرني أحد، أنا بشرٌ على هيئة ظل
كلهم مؤقتون لا أحد يستحق

أصبحت أيامي متشابهة، تضاعل الشغف و تكاد أن تموت اللهفة، لم أصل إلى ما أريد إلا بعد معاناة جعلتني أفقد لذة الحصول عليه، كان للأقربين إلى قلبي النصيب الأكبر من الخيبة، بعضهم جعلني أشك بأن حرיתי فضلٌ منهم و أن الله لم يخلقني حرة لأرسم بريشة أيامي حياتي، نسوا ياء الملكية خاصتي و نسبوها لهم، لم يكن ذنبهم فقط بل كنتُ أنا من خشيتُ على قلوبهم من تمردي فردعتُ نفسي و نحتها كما يحبون آذيتُ روعي لإرضائهم و آذوني لرغبتني التي كبتها خوفاً من أن أحزنهم

تمنيت لو أستطيع أن أكف عن التدخل في حياة هذه الشخصيات البائسة و أكفُ عن إحيائها لكن كما قال لي فادي.... حشورة

الطموح قاتل عندما يولد في بيئة غير داعمة، أنا ضحية أحلامي، أقدمُ قربان أيام (حياتي لها..... تُراها تتحقق؟؟؟)

سوريا 1995

التضحية، كان يرى كل أحلامه على هيئة وجه بريء ذو خدود ممتلئة، ينظرُ إلى بيلا ذات العشر سنوات كما لو أنه يرى روحه تجلسُ بجواره، كانت تلهو بتركيب المكعبات، تبتسمُ له فيردُّ لها بابتسامة تدمجُ بين الفرح و المعاناة، كان الياس رجلاً حزيناً، مهزوماً، ترك المدينة التي كان يسكنُ فيها منذ حوالي ثمانية أعوام و نقل سكنه إلى إحدى القرى، واضعاً الحد لكل علاقة اجتماعية من الممكن أن تترك أثراً سيئاً في نفسه أو في نفس ابنته، بل إن ابنته هي الأهم، أخذ عهداً على نفسه أن يكرس عمره لتربيتها و أن لا يحضرَ لها زوجة أبٍ تسيئُ معاملتها، نظر إلى خيط الشمس الذي تسلل عبر النافذة و تنهد بعمق كما لو أنه سيفجر، اقتربت منه بيلا فحملها واضعاً إياها بين أحضانه ثم طبع قبلةً على جبينها: أبي، هل صحيح بأن والدتي تحترقُ في الجحيم؟

انتقلت جميع الدماء التي في جسده إلى رأسه و هو يخفي خيبته: لا إن والدتك في السماء تُحبنا و تنتظرُ إلينا بين الحين و الآخر، من أخبرك بهذه الأكاذيب؟

بيلا: عمتي دليدا

في أحد المقاهي في مدينة لندن حيثُ كانت الموسيقى الغربية الهادئة تلاطفُ الأعماق و قطرات المطر الناعمة بدأت تهطلُ في الخارج، كانت الشابة السورية ليال تجلسُ مع الشاب السوري حيثُ كانا في بريطانيا بغرض الدراسة، فبعد انتهاء علاقتهما سابقاً طلبت ليال لقاءه، جلست و هي تنكس رأسها ثم رفعتة ببطئٍ و الدموع تالأت في عينيها (لا أدري لمَ كل هذا الجفاء، أنا حامل، أشعر بأنه الوقت المناسب لهذا، أرغبُ في أن أكون أمّاً، إن كنتُ قد أخطأت بشيءٍ....)، قاطع كلماتها و نهضَ بغضب (تمزحين

صحيح؟؟، من اخبرك أني أنوي الزواج منك!!، لا أحب هذا المزاح من الأفضل أن
(تتخلصي من هذا الشيء أو تجدي له أباً آخر

أمسكته من زنده و هي تحاولُ نيلَ تعاطفه (سكنون عائلة جميلة، أرجوك فكر في
(الأمر بجدية، أرجوك

أبعد يدها عنه بقوة و غادر دون أن يلتفت، عادت إلى منزلها البسيط الذي تحيطُ به
حديقةٌ صغيرة لتجد صديقها اللبناني مالك ينتظرُ قدمها، لم يكن منها إلى أن ارتمت
في أحضانهِ و هي تشكو له قسوة نضال و خيبة ظنّها به

في سوريا كان الطفلُ آدم ذو العشر سنوات يتسولُ في الشوارع و هو يرتدي ثياباً
قديمة و يمسكُ بيده صندوقاً كرتونياً يحوي علب محارم صغيرة مُترجياً المارة أن
يقوموا بالشراء منه، كان يعلمُ بأنه إن عاد إلى المنزل و هو فارغ الجيب فإن زوج
والدته حسان ربما يضربهُ و سوف يجعلهُ ينام بلا طعام كما يفعلُ عادةً، اتجه نحو
امرأة ليطلبَ منها الشراء لكنه عندما رأى ابنتها التي في مثل عمره تنظرُ نحوه و
تبتسم، خجلَ من نفسه و غيّرَ طريقه مُتجهاً نحو إحدى الحدائق حيثُ وقفَ ينتظرُ إلى
الأطفال الذين يلعبون كرة القدم و في نظراته رغبةٌ جامحةٌ في اللعب، أشارَ إليه أحد
الأطفال ليأتي و يلعبَ معهم فوضعَ الصندوق الذي في يده أسفل شجرة قريبة و ركضَ
نحوهم بسعادة

مرَّ الوقت سريعاً، كان آدم يمارسُ حقه الطبيعي كأبي طفل لكنه ما إن تذكرَ بأن هذا
الحق ليس لأمثاله، و أن عليه أن يبيع كي يتمكن من النوم ممتلئ البطن في منزله حتى
نظرَ مسرعاً نحو الشجرة التي تركَ تحتها الصندوق، ارتجفَ الدمُ في عروقه عندما لم
يجده، و أخذَ يبحثُ في أرجاء الحديقة و الدموع تكتسحُ وجهه دون فائدة

بدأ الظلام يسود، قرعَ آدم باب المنزل و ما إن فتحت له والدته عتاب حتى مدَّ إليها
بالنقود القليلة التي استطاع شحذها من المارة، نظرت إلى يديه متسائلةً عن
الصندوق، أجاب و هو يتلعثم بالكلمات من خوفه (تركته قرب الشجرة، أردتُ أن
ألعب قليلاً مع باقي الأطفال، سُرق....) بدأت بتوبيخه و تعنيفه نفسياً، دخلَ إلى المنزل
و هو ينتظرُ إلى الأرض خشيةً أن تلتقي عينيه بعيني حسان، لكنَّ حسان كان قد خرج
من غرفته و هو يمسكُ السوط بعد أن سمع حديث آدم مع والدته حول سرقة الصندوق
(تريدُ اللعب أيها القدر!!!، تريدُ اللعب؟؟؟؟!!!، حسناً سنلعبُ سوياً حتى يتأكل جسدكُ

الكريه) ، بدأ يضربه بقوة بينما يطلب منه المغفرة ثم أغلق باب أحد الغرف عليه و طلب من والدته عدم إدخال الطعام أو الشراب.

كان الجو بارداً و كان آدم لا يزال متكوراً على نفسه في تلك الغرفة المظلمة الخالية من التدفئة، فتحت والدته الباب عليه بهدوء و دخلت و هي تمسكُ صحناً صغيراً من البرغل و كأساً من الماء (هياً كل بسرعة قبل أن يشعرَ بغيابي، ما كان عليك أن تلعب،لقد أرسلك للعمل و ليس للهو، فتى مهمل).

بريطانيا 1998

مرّت ثلاث سنوات، لم تلتق ليال بنضال منذ آخر لقاء، لم تعد تعرفُ شيئاً عن أخباره، كانت تعيشُ براحة مع مالك بعد أن تزوجا خصوصاً لأنه كان بمثابة أب حنون لرفيف بعد رفض نضال لهما، لم تعد الفتاة الطائشة التي لا تدر ما تريد و صلت لسن الاستقرار و أصبحت العائلة تعني لها السعادة و الأمان بعد أن كانت لا تعني لها شيئ، أما نضال فقد عاد للتواصل مع كريمة و هي الفتاة التي كان يحبها قبل سفره و التي كانت قد خطبت لشاب آخر بضغطة من أهلها و بعد أن تمّ فسخ الخطوبة بسبب عدم الاتفاق عادت تدريجياً علاقة الحب القديمة التي كانت تجمعهما

في أحد الأيام كان نضال يراقبُ ابنته رفيف من على بعد دون أن ينتبه له أحد، كان يشعرُ بدمائه التي تجري في عروقها، كان يرغبُ في أن يندفع نحوها بقوة ليعانقها، كانت رفيف تركضُ خلف الفراشات في حديقة المنزل و بجوارها ليال تشربُ القهوة، سمعت ليال رنين هاتفها في الداخل و توجهت للإجابة، لم يكن من نضال إلى أن دخلَ الحديقة مسرعاً و حملَ رفيف و خرجَ يركضُ مبتعداً بها.

طالت مكالمة ليال و حين خرجت و لم تجد رفيف جنونه، أخذت تبحثُ عنها في الجوار ثم اتصلت بمالك (ابنتي يا مالك، ابنتي، ضاعت رفيف، ضاعت ولا أستطيعُ (إيجادها) جاء مسرعاً حاول أن يُهون عليها (لا بأس سنجدُها، لا تخافي، اهدأي

لم يستطع نضال أن يعود لدياره و يترك قطعةً منه في بلدٍ غريب، مع امرأة تتصرفُ كالغرب و لا تملكُ من الشرقية إلا الأصول، لم يفكر يوماً بليال بشكلٍ جدي لكنه لم يستطع تجاهل وجود رفيف، لم يحتمل فكرة أن يترك ذاك الوجه الصغير المشرق كالشمس و الشعر البني الملتف على شكل حلقات

في الحين الذي كانت فيه ليالٍ تتابع مع الشرطة البحث كالمجنونة عن ابنتها ، كان نضال يدفعُ أموال طائلة لتزييف جوازات السفر و الأوراق اللازمة ليتمكن من أخذ رفيف معه إلى سوريا

لم يعد آدم يحتملُ قسوة حسان، أصبح طفلاً بقلب رجل و ليس أي رجل، عزمَ على إيجاد طريقة للتخلص منه ، و وضع حدٍ لتسلطه عليه، كان الظلام دامساً في الخارج و الجميع نيام ووقف في المطبخ و أمسك سكين طبخٍ حاد و نظرَ إليها بشغف و هو يحدثُ نفسه (ستكونين أجمل حين تخترقين عنقه، سيكون منظرُ الدم السائل رائعاً، ليس هكذا يا آدم ليس بهذه الطريقة..)، أعاد السكين إلى مكانها و تراجع عن ما أوْشك على القياب به ، إلى أن جاء أحدُ الأيام حيثُ ذهب حسان ليجلب صهريج الماء ليملأ الخزان الذي على السطح لم يكن سطح المنزل مسوّراً فهو منزل بسيط في حي عشوائي أشبه بلوحات الأبيض و الأسود، سعد آدم و هو يحملُ عبوةً مملوئةً بالزيت و قام بسكبها على الأرض بالجهة القريبة من فوهة الخزان ثم غادر المنزل وصلَ حسان إلى السطح و هو يحملُ أنبوب تعبئة المياه، و ما إن اقترب من الفوهة ليضع الأنبوب فيها حتى انزلق و سقط للأسفل

لبنان تموز عام 2006

كان الدخانُ يتشاجرُ في السماء ، حتى أن جدران الأبنية السكنية تعانقت من الخوف و انهال بعضها ساجداً ، كأنه مشهدٌ من مشاهد القيامة، كان الناس يركضون بحثاً عن ملاذٍ آمن بينما يقومُ الممرضون بنقلِ الجرحى

كان الشاب العشريني حسن ذو البشرة البيضاء و الشعر الأسود الذي كاد أن يتلون بالأبيض من الغبار المنتشر، يركضُ بين الحطامِ ثمَّ يختبئُ خلف أحد الجدران الهاوية و يقوم بتصوير المناظر القاسية التي يخلفها القصف الإسرائيلي بكاميرته المعلقة حول عنقه.

رأى والدتهُ تركضُ في أحد الشوارع و هي ترتدي ثياب المنزل، ركض نحوها خائفاً (عليها) ما الذي تفعلينه هنا يا أمي، عودي إلى المنزل بسرعة

جئتُ أبحثُ عنك، لن نبق هنا سنغادر الوضعُ يزداد سوءاً، جميعُ الجيران- سيغادرون

اذهبي معهم سأتبعكم لاحقاً، هيا سأوصلك للمنزل-

نظرت إليه عازمة و هي تكاد تفقدُ الوعي مما يحدثُ حولهما لن أغانر من دونك، (سأموت هنا إذاً)

كان الجو حافلاً في أحد البارات في سوريا، أصبحت بيلا في بداية العشرينات شابة فائتة بعينين زرقاوتين و جسد ممتلئ بطريفة جذابة و متناسقة، كانت ترقصُ برفقة جواد بينما تجلسُ سيلينا تشربُ النبيذ و تنظرُ إليهما، غمزت سيلينا جواد و هي تشربُ النبيذ و ابتسمت بخبث و كأنهما يحيكان مؤامرة

انتهت الأغنية التي يرقصان عليها، استأذنت بيلا للذهاب إلى الحمام و فتوجهُ جواد نحو سيلينا ثم أخذُ الكأس من يدها و شربُ منه

سيلينا: يبدو حبك في عينيها، هذا سيسهلُ الأمر، عليك أن تُسرع فيما اتفقنا عليه، نحنُ بحاجةٍ إلى المال

وضع جواد الكأس من يده و أشعل سيجارته و هو ينظرُ إلى عيني سيلينا بغرور: لا تقلقي، هي أيامٌ معدودة، (يكملُ بسخرية) هل يعلمُ آدم أنك تعشقين العمل في هذا النوع من الممنوعات

شربت سيلين من الكأس بنشوة بينما أتت بيلا إليهما بعجلة و أخذت حقيبتها و هي
تحدثهما: لقد تأخرت، بدأ وقت مناويتي

كانت السماء سوداء و كأن النجوم قد انطفأت و أعلنت الحداد على أرواح الشهداء،
كانت الحافلات تقلُّ اللاجئين اللبنانيين إلى الداخل السوري و في أحد الحافلات يجلسُ
حسن يبلى وجه والدته الجالسة بجواره بالماء و هي تكاد تفقدُ الوعي، يتحدثُ بحنان و
الدموع تملأ عينيه : اصبري أُمي سنصلُ قريباً

ثمَّ وضع كف يدهُ على ذراعه المصابة المغطاة بقميصه الأسود و هو يحاولُ أن يخفي
ألمه عن والدته

كان الأطباء و الممرضون في أحد المشافي السورية يسارعون لإسعاف الجرحى ،
خرجت بيلا من أحد الغرف مسرعة و هي ترتدي مريولها

وقفُ حسن بجوار السرير الموجودة عليه والدته و هي تكاد أن تنام، نظرُ الطبيب إليه
و أخبره بأن حالة والدته مستقرة و أنها متوقعة بسبب انخفاض السكر في الدم بسبب
الخوف و الإرهاق

خرجُ من الغرفة و هو يضعُ يدهُ على ذراعه، ثم أغمي عليه و سقطُ أرضاً

و حين فتح عينيه و جد نفسه على السرير و بيلا تبتسمُ له بود

بيلا: لقد نرقت كثيراً، كيف تشعرُ الآن؟

ينظرُ حسن إلى ملامحها الطفولية الناعمة: بخير، أين الكاميرا التي كانت معي؟

بيلا: لا تقلق إنها في قسم الأمانات، هل أنت مصور؟

حسن: أنا صحفي، تخرجت من كلية الإعلام حديثاً

طلبت بيلا بأسلوبها اللطيف منه الاسترخاء و ذهبت لإحضار الكاميرا ، بينما شرد
حسن بحزن و هو يتذكرُ الناس الذين فقدهم، فُتحَ الباب، دخلت أم حسن و توجهت نحوه
بلهفة للاطمئنان إليه (يا إلهي، كيف حالك يا بني؟، هل أنت بخير، هل يؤلمك الجرح)
دخلت بيلا و هي تمسكُ الكامير، بقيت بالقرب من الباب غير راغبة في مقاطعتهم بعد
أن بدأت أم حسن بالبكاء و هي تتحدث: أخبرني الطبيب أننا سنغادر المشفى بعد غد،
أين سنذهبُ بأنفسنا؟؟؟، ماذا لو طالت الحرب؟، هل سنفتش الطرقات و الأماكن
العامة، يا إلهي ساعدنا، ساعدنا يارب

حسن: سيكون كل شيء بخير بإذن الله لا تقلقي، و ما ضاقت إلا لتُفرج

اقتربت منهما بيلا بتردد، وضعت الكاميرا بالقرب من السرير و نظرت إليهما:
يمكنكما الذهاب معي

لتفتت أم حسن إليها و قد لمع الأمل في عينها فتكلمُ بيلا: أسكن في قرية قريبة من هنا
مع والدي، نقيمُ لوحدنا و منزلنا كبير يمكنكم الإقامة في الطابق العلوي إن شئتم فهو
فارغ، والدي سيكون مسرور بهذا

نظرت أم حسن إلى حسن الذي بدا مُحترأً و كأنها تطلبُ رأيه

كانت رفيف تعيشُ في سوريا مع والدها وزوجة والدها (كريمة)، بعد أن أخبر نضال
الجميع أن رفيف هي ابنته من زوجة أجنبية و أن هذه الزوجة توفيت أثناء ولادة
رفيف، كانت طفلة شقية تحب المزاح و اللعب، لم تكن كريمة تحبها خصوصاً أنها لم
تستطع أن تنجب و بقيت رفيف هي الابنة المدللة و الوحيدة لنضال، كانت مجبورة
على أن تعاملها بطريقة حسنة فهي تعلمُ أن نضال ربما يتخلى عنها من أجلها، على
الرغم من الحب الكبير و العلاقة التي كانت بينهما حتى قبل أن يسافر نضال للدراسة
إلا أن رفيف كانت كنزهُ الثمين الذي يرفضُ من أي أحدٍ الاقتراب منه أو التدخل فيه

انتهت كريمة من تنظيف الأطباق و هي تتحدثُ لنفسها يظنني خادمة لهُ ولا بنته،
(تريدين عصير البرتقال أيتها القردة، أكرهك أكرهك أكرهك

قامت بإعداد العصير ثمَّ بصقت في كأس رفيف قبل أن تقدمه لها

كانت الشمس قد أرسلت خيوطها بين أشجار التوت و التين التي كان قد زرعها (لياس)
والد بيلا في حديقة المنزل، خرجت بيلا من باب المنزل بقمة النشاط و ما إن

رأها والدها حتى مسح دموعه بسرعة و أخفى عنها رسالة كان يقرأها دون أن تنتبه
متظاهراً بأنه بخير، طبعته قبلةً على خده و غادرت

توجهت نحو سيارة جواد التي تنتظرها في أحد الطرقات الفارغة و قلبها يخفقُ
بسرعة فرحاً برؤيته، صعدت إلى السيارة ثم توجهت إلى منزله

دخلت بيلا المنزل بحماس و دخل خلفها جواد نظرت إلى الصالة بفضول: أين والدتك
جواد: أظنها تشربُ القهوة كعادتها عند جارتنا في الطابق العلوي

بيلا: ألم تخبرها أنني قادمة للتعرف إليها؟

جواد: لا أحببت أن أبقيتها مفاجئة، سأعد القهوة لنا ريثما تأتي و إذا تأخرت سأذهب و
أحضرها

جلست بيلا في الصالة مرتبكة، بينما دخل جواد إلى المطبخ و عندما انتهى من
تحضير القهوة و سكبها أخرج من جيبه كيساً صغيراً شفافاً به حبوب صغيرة و وضع
حبةً منه في أحد الفنجانين

كان القلق يبدو على وجه أم حسن و هي جالسة مع حسن في غرفته في المشفى
،ينتظران بيلا حتى تأتي إليهما و تأخذهما إلى منزلها، كانت الأفكار تتصارع في
عقلها حول المستقبل المجهول الذي ينتظرهما ريثما تنتهي الحرب و يعودا إلى
الوطن.

!! أم حسن: أيعقلُ أنها قد غيرت رأيها أو أن والدها لم يوافق على استضافتنا

. حسن: كل غائب وله عذر، و حتى إن حدث هذا سنندبرُ أمرنا لا تقلقي

. أم حسن: الساعة ستصبحُ الثانية ظهراً لقد أخبرتنا أنها ستأتي في الساعة الثانية عشر

.حسن: سننتظرُ حتى الثانية و النصف إن لم تأتي سنذهب

. أم حسن(تبكي): إلى أين؟؟؟ إلى أين؟؟؟

كان جواد مستلقياً على السرير و هو يدخنُ سيجارتهُ كشخصٍ منتصرٍ حقق مناله بينما تجلسُ بيلا بجواره ترتدي حذاءها مصدومة و الدموع تنزلُ من عينيها بحرقه، التفتت إليه قبل مغادرتها و تحدثت بغصة: لماذا فعلت بي هذا؟؟؟لماذا كذبت؟؟؟، كيف حدث هذا!!! ما الذي وضعتهُ لي في القهوة؟

اقترب منها و نظر إلى عينيها بقوة: ما هذه الخزعبلات ما الذي سأضعهُ لك؟؟، كل ما في الأمر أنك أنت من أرادت هذا، هذه رغبتك، رغبتك إنت؟

مسحت بيلا دموعها المتكاثرة على خديها: و لماذا تحدثني بهذه النبرة القاسية، لماذا تنظرُ لي بهذه الطريقة المهينة

لملمت نفسها و هي تشعرُ بالذل، غادرت بينما بقي هو في مكانه ينظرُ لها بعدم اكتراث، لقد فقدت أعلى ما لديها مع شخص بدأت تكتشفُ بأنه لم يستحق منها حتى نظرة عابرة

ضاقت الأرض بحسن و والدته، توجهنا نحو باب المشفى بعد أن فقدنا الأمل في قدوم بيلا،

أم حسن: لقد خدعتنا تلك الفتاة، منحتنا أملاً زائفاً، لو أنها لم تدعونا إلى منزلها لَكُنَّا تدبرنا أمرنا و بحثنا عن مكان قبل أن تنتهي مدة بقائنا في المشفى

حسن: يكفي أمي، لا تقلقي، ألا تثقين بي!!! لستُ طفلاً صغيراً أستطيع تدبر أمرنا نزلت بيلا من سيارة الأجرة فرأت كل من حسن و والدته يمشيان في أحد الطرقات : الفرعية ركضت خلفهما و أوقفتهما

أعتذرُ بشدة على التأخير، حدث أمرٌ طارئٌ و لم أستطع القدوم على الوقت

أم حسن: نحن لا نريد إحراجك يا ابنتي إن جد شيئٌ و ليس بإمكانك أن تأخذينا معك، سنندبرُ أمرنا

تحدثتُ بيلا بينما نظر حسن إلى بياض عينيها المحمر من البكاء، كان يتساءل في نفسه عن السبب الذي أودى بها لهذا الحال : لا أبداً، لا يوجد إحراج (تبتسم بحزن) هيياً لنذهب

حل المساء كانت كريمة تنظرُ إلى نفسها في المرآة، لقد نسيت أنوثتها، طوال ثلاثة عشر عاماً و هي تشعرُ بأنها مجرد أداة في هذا المنزل، تخدمُ فتاة كانت ابنة المرأة التي نافستها على قلب نضال يوماً، أخرجت ثوباً متعر، أرادت أن تستذكر مفاتها المنسية، ارتدته و وضعت مساحيق التجميل بشكلٍ مبالغ و ختمتها بأحمر الشفاه الأحمر.

أخذت تتأملُ نفسها بغرور، مستاءة من عدم تقدير زوجها لما لديها، طُرق الباب فتوجهت لفتحه، كان الطارق (مروان)، صديق زوجها، تفاجئ عندما رآها بهذه الهيئة التي لم يرها فيها من قبل: سيدة كريمة، ما هذا الجمال، تبدين غاية في الأناقة لاحظت في عينيه إعجاباً واضحاً أخذ نضال رفيف إلى مدينة الألعاب يمكننا أن نسهر (سويماً ريثما يعودا، تفضل بالدخول

أرادت أن تنال اهتمامه و رغبت أن حظي بأي شعور اتجاهها من قبل أي رجلٍ كان إلا نضال، علمت أن نضال و رفيف لن يعودا حتى منتصف الليل و أن لديها ما يكفي من الوقت لتكسب ما تريده

كان كل من حسن ووالدته يتبادلان الأحاديث مع الياس و هم يشربون عصير التوت الطبيعي في حديقة المنزل

أم حسن: سيد الياس أليس لديكم أقارب في هذه القرية؟

أجاب و هو يخشى أن تطرح عليه المزيد من الأسئلة و يجبر على الحديث في الأشياء التي طالما تجاهل الحديث بشأنها (كانت قرية و الدتي في الماضي، أقاربي يفضلون الإقامة في المدينة ، احبُ طبيعة القرى لذا أفضلُ العيش هنا كما أشعرُ بأن أهل القرية هم أهلي) وضع كأس العصير و نهض تجنباً لأسئلة أخرى (سأذهب لإيقاظ بيلا فقد نامت منذ وقتٍ طويل

غادر الياس بينما نظر حسن إلى انعكاسه على زجاج المكتبة التي أمامه و سرح شعره بيديه مترقباً قدوم بيلا

كانت بيلا مستلقية في غرفتها المظلمة و هي تدفنُ رأسها تحت وسادتها و تبكي، شعرت بأن ما حدث قد دمرَّ مستقبلها و أن فرحها و حياتها توقفا عند اللحظة التي سبقت دخولها إلى منزل جواد ، و أن ما من شئٍ سيعالج ما حصل إلا زواجها منه ، كانت تعلمُ بأنه أمرٌ أشبه بالمستحيل فهي مسيحية و هو مسلم بالإضافة لثقتها بأن جواد

لن يقاوم للحصول عليها بعد تغير معاملته معها على الفور بعد ما حدث، طُرقَ الباب فتظاهرت بالنوم، فتحت عينيها رافضة طلب والدها بالنهوض، أخذ الياس يقربُ شفثيه من جبينها ليدس حرارتها كي يطمئن بأنها ليست مريضة ثم خرج محترماً رغبته في الحصول على المزيد من الراحة.

بعد مرور بضعة أيام، صعدت بيلا الدرج إلى الطابق العلوي متوجهةً إلى غرفة حسن، وقفت أمام بابها المفتوح و هي تنتظرُ حسن ريثما ينتهي من أداء صلاته، كانت تتأملُه كيف يصلي دون أن يكثرث بكل شئٍ حوله كما لو كان و حيداً و ما إن انتهى حتى انتبه لوجودها: لماذا تقفين في الخارج، أدخلي.

بيلا: الغذاء جاهز و هما لم يعودا من الأرض حتى الآن ما رأيك أن نأخذه و نتناول الطعام هناك.

توجهُ حسن نحوها: لم تكوني هكذا، في أول لقاء لنا لم يكن حالك هكذا؟، ما سرُّ هذا الحزن الذي يغزو عينيكِ.

حاولت بيلا أن تتصرف كعادتها: لا شئٍ، لستُ حزينة، سأنتظرك في الأسفل.

أمسكها من يدها قبل ذهابها و غرق في عينيها و كأنه يشهدُ فيهما اندماجاً للأرض و السماء: اعتبريني صديق أو حتى صديقة إن أردتِ.

تهربت بيلا من الحديث عن ما يزعجها (لا تشغل بالك ليس هناك ما يستحقُ الكلام هياً قبل أن يبرد الطعام) نزلت برفقته إلى الطابق السفلي بينما ينظرُ إليها بين الحين و الآخر، لعلها تغيرُ رأيها و تفتحُ قلبها له.

نزلت بيلا من الحافلة متوجهةً إلى منزل جواد و قبل وصولها رأت سيلينا تفتحُ باب منزله بالمفتاح و تدخلُ، تابعت طريقها إلى باب المنزل ببطء و الخوف من الصدمة القادمة إليها يتملكها متسائلة في نفسها عن سبب امتلاك سيلينا للمفتاح.

طرقت باب المنزل بيديها المرتجتين بتردد فنهضُ جواد: لقد أحضروا العشاء.

فتح الباب و ابتسم بخبث عند رؤيته لبيلا التي بالكاد تتمالك نفسها من البكاء: لماذا لا تجيبيني، ماذا تفعلُ سيلينا في الداخل و لماذا مفتاح المنزل معها.

جواد(ببتسم): أدخلي لنعقد اتفاق كي نتفادى الفضيحة

بيلا(بخوف): ماذا تقصد؟؟

دخلت بيلا بخوف ، فوقفت سيلينا و هي تنظرُ إلى بيلا بقوة متجاهلة أسئلتها حول سبب تواجدها و امتلاكها للمفتاح

جلست بيلا بتردد بعد إصرارهما على ذلك ثم جلس جواد بجوارها وشغل حاسوبه المحمول على فيديو قام بتصويره عندما كان مع بيلا في غرفة النوم .

نزلت الدموع من عينيها وأدارت وجهها رافضةً النظر بينما يتحدثُ جواد بسخرية: كما ترين إن وجهك ظاهرٌ بكل وضوح على الكاميرا

بيلا(متوسلة): لماذا تفعلُ هذا بي ، بماذا أديتك، قم بحذفه أرجوك، أرجوك أن تحذفه

جواد: إن كنت تريدين أن لا ينشر هذا الفيديو عليكى أن تفعلي ما أطلبه منك، كل ما أريده

بيلا: ماذا تعني؟؟

سيلينا: يكفيك تظاهراً بالبراءة ستفعلين ما يريده و سيكون لك جزء من ما سنجنيه

تقفُ بيلا و تبكي بهستيرية و هي تصرخ: حتى أنتِ!!! لقد ظننتكِ صديقتي، وثقتُ به بسبب مديحك المتواصل له، ألهذا قمتي بتعريفى عليه؟ أردتما استغلالى منذ البداية ، لا أصدق ، لا أصدق

كان المنزل هادئاً لم يبق إلا حسن جالساً في الصالة مستيقظاً ينظرُ إلى الساعة التي أصبحت الثانية عشر بعد منتصف الليل و ينتظرُ قديم بيلا، فتحت بيلا باب المنزل و دخلت ثم جلست على الأرض تبكي بحرقة دون أن تنتبه لوجود حسن، اقترب نحوها (ليساعدها على النهوض (بيلا هل أنتِ بخير

حاولت أن تتمالك نفسه بعد رؤيته لها لكن الخيبة كانت أقوى من صبرها نهضت بمساعدته و اجتاحتها الدموع مجدداً دون أن تقدر على مقاومتها فضمها حسن إليه (بحنية) اهدأي، اهدأي

دخلُ معها إلى غرفتها و جلسُ بجوارها و هو يمسحُ دموعها ، نظرتُ إليه (أنا خائفة (، يجب أن أموت ، يجب أن أقتل نفسي

أمسكُ وجهها بلطف و هو ينظرُ إليها مطولاً (لا تفكري هكذا أبد ، انظري إلى والدك كم يحبك ، ما الذي سيحدثُ له لو أصابكُ مكروه ، أنتِ كلُ حياتك ، المرضى الذين في

المشفى من سيهونُ عليهم ، إن هذا الوجه الملائكي و القلب الصغير لا يستحق أن
(يؤذى أو يتحطم).

بيلا: ما سيحدثُ لو الذي إن مت أهون مما سيحدثُ له لو بقيتُ حية

حسن: غداً تنتهي الحرب و أعود إلى ديارى ، سأصبحُ ذكرى ، شخصاً عابراً حمليني
همومك و سأعبرُ بها من هنا و أنساها ، تحدثي لي كما لو كنتِ تتحدثين لنفسك، ثقي
بي.

بيلا!!!: خذلوني جميعاً ، لما علي أن أثق بك

حسن(يمسحُ دموعها): أنا مدينٌ لك إننا هنا بفضلك، كما أنكِ تعنين بي و تداوين
. جرحي و أنا لا أرح من يداويني

بيلا(تبكي): لقد اتفق مع صديقتي، وضع لي شيئاً في القهوة ، لم أكن أعى ما حدث ،
إنه يبتزني

حسن: اهْدأى و أخبريني ما القصة منذ البداية و سأساعدك(يمسكُ يدها) أعدك

طرق آدم باب المنزل بقوة فتحت له والدته عتاب و بدأت تعاتبه (كنتُ أعلمُ أنكِ
(الطارق، رائحة المنكر سبقتك إلى المنزل، متى ستعودُ إلى رشدي؟

آدم(بسخرية): منكر!!! كفي عن هذا أيتها الأم الحنونة، أشعرُ بأنى أدخلُ منزل أحد
الصالحين، كلانا نعلمُ الرائحة النتنة التي تفوح منك و من زوجك، تريدان أن أعودَ إلى
رشدي!، ما هو رشدي؟، أن أرتدي ثياب بالية و أشحذُ في الطرقات

....عتاب: يا بني

آدم: لا تقولي بني، اصمتي رأسي يؤلمني

دخلَ و ألقى التحية مستهزئاً بحسان الذي يجلسُ على كرسيه المتحرك منذُ وقع من
على السطح، ثمَّ ضربَ والدته برزمة من المال بعد أن كانت تطلبُ منه أن يكف عن
(السخرية من حسان) هذا المال، ثمَّ لنصائحك الغير مُجدية

كان جواد يجلسُ على الأريكة يتناوبُ هو و سيلينا على سيجارة الحشيش التي في يده و هما يبديان بقمة المتعة، يتصلُّ بها آدم فتتظرُ إلى هاتفها بعدم اكتراثُ دون أن تجيب بينما تنفثُ الدخان من فمها(أتركني و شأني آدم)، يطرقُ الباب فينهضُ بكسل ثم يفتحه لينتقى لكمة على وجهه دون أن يميز وجه القارع، ينهالُ حسن عليه بالضرب و اللكمات ثم يرى سيلينا متوجهة نحوهما و هي تحملُ بيدها سكيناً، يخرجُ حسن المسدس الذي أخفاه حول خصره و يقوم بتوجيهه نحوهما (إياكما و التحرك ستفعلان . كل ما سوف أطلبه و إلا سأقتلكما

يحضُرُ جواد الأقراص المخزن عليها مقطع الفيديو الخاص به و بببلا و كاميرته الخاصة و يعطيها لحسن ، يقوم حسن بأخذ قرص التخزين الخاص بكميرة جواد ثم تحطيمها بقدمه ، و يستخدم الكاميرا الخاصة به التي يعلقها حول عنقه و يطلب من جواد و سيلينا أن يأخذا وضعيات مهينة متشبهين بالحيوانات (قف على أطرافك الأربعة، مَدُّ لسانك إلى الأمام، اممم هكذا جميل) ثم يقوم بتصويرهما مهدداً إياهما بفضح هذه الصور في حال حاولا التعرض لببلا مجدداً

كانت النجوم تلمعُ في السماء و الجو هادئٌ على عكس حال بببلا التي كانت تتجولُ في حديقة المنزل و الأفكار تضحُ في عقلها و هي قلقة تنتظرُ قدوم حسن

يأتي حسن فتنوجهُ نحوه بلهفة، أعاد لها مسدس و الدها و قام بإعطائها الأقراص و (شريحة التخزين) قومي بإتلافهم، لن يتعرض لك أحدٌ بعد الآن

بببلا: هل أنت متأكد؟

حسن: ثقي بي، لن يجرأ أحدٌ على الاقتراب منك مجدداً، و الآن فلنحذف هذه الحادثة من عقولنا و لتعودي كما كنتِ و كأن شيئاً لم يحدث

تتظرُ بببلا إلى عيني حسن بامتنان، تعانقه شاكرة ثم تنتبه إلى ابتلال قميصه بالدماء السائلة من جرحه، يدخلان إلى غرفته و تطلبُ منه أن يخلع قميصه لتبدأ بتطبيب الجرح، ترفعُ خصل شعرها النازلة على وجهها كل قليل إلى خلف أذنها بينما يتأملها هو بإعجاب ثم أصبح هو من يرفعُ لها الخصل عندما تنزلُ مجدداً و هو يلامسهم (بإصابعه بلطف، ابتسمت بخجل) ها قد انتهينا

كانت الأيام تمر و في كل يوم كان حب بببلا يزداد عاماً في قلب حسن، كان محباً لكل تفاصيلها، أصبح ينظرُ لها كما لو كانت أمنية، لم تكن بببلا أفضل حالاً منه، كانت تنكرُ

حبها له عن ذاتها لاختلاف الديانة و بشكل خاص لأنه يعرف قصتها مع جواد، لكن لم تستطع المقاومة أكثر، في أحد الليالي بعد أن نام الجميع ذهب للتحدث معها في غرفتها، كانت جالسة و كأنها بركان من الدموع يحاول أن لا ينفجر، جلس بجوارها (انتهت الحرب، هي أيام قليلة و سنغادر، ألا ترغيبين في قول شيء!!) ، أما عني فأنا أحبك ، لم أستطع إلا أن أحبك ، أعلم أن الأمر صعب و جب علي أن أضع حداً لقلبي (منذ البداية، لكن القلب إن هوى لا يبصر الحدود

.) اقتربت بيلا منه و عناقته بحميمية (لا أريدك أن تذهب ، لا أريدك أن تتعد

حسن: هل لديك أي شعور اتجاهي؟

بيلا: لا، أقصد ليس لا، لكنني لا أستطيع ، نحن مختلفان، بالإضافة لأنك تعلم ما حدث معي في السابق

يتحدث حسن بغضب: لا يهمني السابق، أنا أو من بالحاضر لا بالماضي ، كفي عن الحديث عن ما مضى

تنظر إلي عينيها وهي تمرر أصابعها على تقاطيع وجهه (أحبك، أحبك كثيراً)، اقتراب منها بهدوء و قبلها بوله قبله ستبقى يتيمة لسنوات طويلة

خرجت أم حسن من غرفتها نحو المطبخ لتشرب الماء، فرأت حسن يخرج من غرفة بيلا، توجهت نحوه و حدثته بغضب: ماذا تفعل في غرفتها في هذه الساعة المتأخرة، هل هكذا ستكافئ الرجل الذي فتح لنا منزله و أكرمنا

....حسن: لا تخطئين فهمي

أم حسن: لست عمياء ، رأيت نظراتكما، كل أفعالكما تشير لوجود علاقة بينكما، هل قمت بالاقتراب منها، هل أذيت الفتاة التي ساعدتنا؟

حسن: لم أؤذيها و لن أفعل ذلك، أحبها و أريد الزواج منها، كما أن العم لياس يحبني، لذا سيوافق

حسن: هل جننت؟؟؟، تريد أن تسود وجه الرجل المسكين أمام أهل القرية، يحبك لكن ليس كزوج لابنته إنه موضوع حساس لا يتحمل الطيش، أغلق عليه و انسى الأمر، الحب يجب أن يواد أحياناً

....حسن: لكن

أم حسن: من دون لكن، لم يستضفنا الرجل هنا لتتعدى على حدودنا في هذا المنزل

توجه حسن إلى غرفته بانساً و هو على ثقة بأن أمه محقة في كل كلمة قالتها و أن
الرجل الطيب الياس لا يستحق إلا الخير.

كان الصباح حزيناً و قفت بيلا بجوار والدها لتوديع كل من حسن و والدته، التفت حسن
قبل خروجه و ابتسم لها بحزن، في ذلك اليوم شعرت بيلا أن شيئاً من روحها قد رافق
حسن إلى الأبد و أن قطعة منها أعلنت انشقاقها عنها و التصقت به ، غزى الروتين
أيامها من بعده، كانت تعيش بلا أي هدفٍ، لم تكن الحياة قد زارتها إلى خلال المرات
القليلة التي التقت بها حسن خلال العشر سنين التي تلت مغادرته.

أصبحت في بداية الثلاثينيات حيث زادها هذا العمرُ جمالاً و أنوثة و زاد سوريا ألماً و
حزناً بسبب اندلاع الحرب فيها، أما حسن ازداد رجولةً و وسامة، أصبح صحفياً
متخصص في كتابة مقالات حول الحالات الإنسانية الصعبة التي تحتاج إلى مساعدة،
كان يرفض الزواج و يفضل ليالي السهر الطويلة و هو يتحدث إلى بيلا مكالمة فيديو
على أن يتزوج من أخرى أثار هذا الأمر استياء والدته فقامت بتهديده (سأغضبُ
عليك إن لم تتزوج، بيلا لم تخلق لتكون لك و لا أنت لها ، إن كنت حقاً تحبها أكمل في
طريقك و دعها تكمل في طريقها إنها فتاة ستقضي على مستقبلها قبل أن تقضي على
مستقبلك).

أمضى ليالٍ عديدة و هو لا يستطيع النوم حتى الصباح و كأنه يعاقبُ نفسه مُسبقاً على
القرار الذي سيأخذه.

أصبحت رفيف في السنة الأولى من الجامعة، صبية و سيمة بعينين عميقتين كشهد
العسل و شعر بني ناعم مُلتف على شكل حلقات ، كانت عفويتها طاغية على تعاملها،
تتصرف كالأطفال، تضحك كثيراً و تبكي كثيراً، أنهت دوامها في الجامعة الخاصة
كلية الصيدلة) و خرجت مع صديقتها بيسان لتجد إياد ينتظرها في سيارته، كان إياد
شاباً ثلاثيني من عائلة ثرية مرموقة، صعدت إلى السيارة و بدأت بالكلام كعادتها،
كانت إذا التقت شخصاً عزيزاً لا تكف عن الكلام، نظرت إلى نفسها في المرآة (هل
أبدو جميلة؟، يا إلهي أشعرُ بأن وجهي متعب، لقد نمت في الرابعة صباحاً و استيقظتُ
في السابعة، أه كم أنا نشطة، كم أنت قوية و جبارة يا رفيف، فليحفظك الله لو الدك و
لكل من يحبك، لماذا أنت صامت، قل أمين، ألا ترغبُ في أن يحفظني الله لك!! ، أنك
(لا تحبني، اكتشفتُ أمرك، هيّا اعترف، أريدُ أن أسمع تصريحاً شفويّاً

إياد(باستياء): رفيف كُفي عن الكلام، إنك تتحدثين ما يفوق المئة كلمة في الدقيقة
كانت هذه عادة إياد حين تلقاه، يطغى الحماسُ عليها في الحديث معه و تحاولُ
إضحاكه بينما يُسكتها بأسلوب جاف

ازدادت ملامح آدم رجولة و جاذبية بمرور السنين، قَتَلَ الفقر و استطاع أن يرتدي
الثياب الفخمة و أن يقتني سيارة بعد أن هوى في طرقات الحياة السوداء و أجواءها
الشيطنانية ناسياً طريق العودة، الأصح أنه لم يرد العودة، فقد ملَّ من الذل و المعاناة
كان يعيشُ في عالم مظلم لا يتخيلُ الأشخاص العاديون و جوده، في منزل كبير، مع
بعض الشبان و الفتيات الذين كانوا يبيعون انسانياتهم و كلَّ شئٍ خاصٍ بهم في سبيل
المال.

كاد أن يغفو و هو جالس على الأريكة إلا أن نور الشمس اخترق الستار و لامس
رموش عينيه، ففتحهما بانزعاج ثم اشغل سيجارته منتظراً قدوم سيلينا، كان يعلمُ بأنها
خانتُهُ مجدداً على الرغم من معرفتها بأن أمراً كهذا سوف يوترُ العلاقة بينهما
دخلت و هي ترتدي ثياب سوداء و تضعُ مكياجاً قاتماً و حمرةً مائلةً للون الأسود، لقد
زادتها السنين صلابة، كانت القوة و السادية يُشعان من عينيها، اقترب منها
(. /بغضب(فعلتها مجدداً، صحيح؟؟؟ قمتِ بخيانتني

سيلينا(تضحكُ بسخرية): أخونك!!، كُفَّ عن هذه الدراما، أحبك و تحبني لكني لستُ
حكراً لك و لا أنتِ حكراً لي، يمكنكُ إقامة علاقة مع أي فتاة تريدها، هذا لا يغضبني،
مصطلحُ الخيانة وجدَّ لمن امتلكوا كل شئٍ و لم يكتفوا أما بالنسبة لنا فنحنُ لا نملكُ
شئناً منذُ البداية، إننا مصنوعون من الخيانة و نعيش فيها

قامَ آدم بإطفاء سيجارته بكفي يده و تحدث بحزم: سامحتك كثيراً لكن ابتداءً من هذه
اللحظة سأترك المنزل، لم أعد أرغبُ بمشاركتكِ في أي شئٍ، لا في المنزل و لا في
العمل.

سيلينا(تلف يدها حول عنقه): لا تكن معقداً هكذا، لقد تعرفتُ على رجل أمن يستلم
مناوبات على الحدود، إنه يحبني و يرغبُ في الزواج مني، إن زواجي منه سيفيدنا
.سأتمكنُ من تمرير أي مادة عبر الحدود ، سنجني أموال طائلة

نظرَ آدم إليها بشفقة بعد أن أصبحت عبدة للمال ثم غادر المنزل يائساً متوجهاً إلى
أقرب حانة و بدأ بشرب الويسكي

كانت بيلا تقوم بتدليك ظهر الياس حين سمعا صوت رنين الرسائل على موبايل والدها، ذهبت لجلب الموبايل لتشاهد بأن أم حسن قد أرسلت له صور لحسن و خطيبته أثناء حفل الخطوبة، تذكرت كلمات حسن (سابقى أحبك حتى الموت، لكننا لن نستطع الاستمرار هكذا، على كلِّ منا أن يلتفت لحياته، تعبت من ضغط والدتي و الأقارب بشأن تزويجي، أستطيع أن أشعر بمدى تعاستك فيما لو حدث الأمر لأنني أعاني من (هذا الشعور في اللحظات التي أتخيل فيها أنك من الممكن أن تصبحي لشخص آخر

أعطت بيلا الموبايل لوالدها و هي تخفي حزنها، توجهت إلى غرفتها لتعيش صراعتها لوحدها بينما كان حسن يتبادل أطراف الحديث مع خطيبته زينب و هما جالسان لوحدهما في صالة منزلها، أخرج الموبايل من جيبه ليقرأ رسالة من بيلا (لقد فعلتها، (مبارك لك

تغيرت ملامح حسن بعد قراءته للرسالة و استأذن للعودة إلى منزله، لم تستطع خطيبته أن تفهم الغرابة التي تصرف بها، تركها واقفة تتساءل عن السبب و غادر و هو يشعر بغصة في قلبه

كانت بيلا ترتجفُ بينما يقوم والدها بوضع كمادات الماء البارد على وجهها و هو قلقُ بشأنها، رن الموبايل الخاص بها فأجاب عليه ليكون المتصل حسن (مبارك لك الخطوبة يا بني ، بيلا لا تستطيع التحدث إنها مريضة جداً ، أظن أنها مصابة بالحُمى (، كانت بصحة جيدة ، دخلتُ إليها لأدعوها لتناول العشاء فوجدتها ترتجف

أنهى حسن المكالمة و هو يستثيرُ حزناً غضباً ، اتصلت به زينب فقام بإغلاق الموبايل دون أن يجب حاول الاسترخاء و هو ينتهد كأنه يريد أن يُخرج من فمه ما يتعب قلبه ((خسرتها، لم تعد لي، لم تكن لي منذُ البداية

فتحت بيلا عينيها لتجد والدها قد نام و هو جالسٌ بجوارها أيقظته بلطف(أبي، أبي، (إذهب للنوم في غرفتك ستتعب هكذا

.هل أنت بخير؟؟، هل يؤلمك شيء؟؟-

.لا، لم يعد يؤلمني شيء-

أخبرها أن حسن قد اتصل لمرات متتالية للاطمئنان إلى حالها ثم غادر، عادت للاستلقاء و هي تبكي (انتهت قصتي مع حسن، و انتهت معها فرحتي، فقدتُ الشاب الذي تمنيتُ أن يكون لي منذُ عشر سنوات و لا أظنني سأتمنى سواه إلى أن أموت،

سيتزوج من أخرى و ينجبُ منها، ستغارُ عليه مني و تطلبُ قطع علاقته بي، يا إلهي
(لا أستطيع تحمل هذا

خرجُ حسن من غرفته ليجد أن زينب تساعدُ والدته في تحضيرِ الغذاء، تلتفتُ والدته
لهُ/ صباحُ الخير أيها الكسول، لقد دعوت زينب لتناول الغذاء و جاءت مبكراً مصرّةً
(على أن تساعدني

ألقي التحيّة على زينب فأجابت بخجل ثم توجه لغسل وجهه بينما كانت بيلا تمسك
موبايل والدها و تشاهدُ صوره مع خطيبته و تتأملُ إحدى الصور التي يظهرُ فيها
حسن و خطيبته ينظران إلى عيني بعضهما بفرح

نظرت أم حسن إلى كل من حسن و زينب بفرح و هما يتناولان الطعام و زينب ترمقُ
حسن و هي تبتسم بين الحين و الآخر بينما يبدو جامد الملامحُ ، كانت تظنُ أن طبعهُ
هكذا دون أن تعلم أن العاشق مهما كان جاداً سيصيبهُ ضربٌ من الجنون عندما يكونُ
مع معشوقه، أمسكُ هاتفهُ و قرأ رسالة من بيلا (كفّ عن الاتصال بي لا أريدك حتى
(صديقاً، لستُ بارعة في تحويل الحب إلى صداقة

كانت رفيف تجلسُ في غرفتها تتحدثُ إلى بيسان عبر الموبايل و هي منفعة (وددت
لو دعاني إلى الطعام يوماً، ماذا لو كان حقاً بخيل!!، يا إلهي هذا لا يحتمل، إن تزوجنا
سأبقى جائعة لبقية عمري، ههههه سوف آتي إلى منزلنا و أسرقُ بقايا الطعام من
(الحاجة، حسناً، سأحدثُ بجديّة، سأفعلُ كما قلت لي

كانت كريمة تسترقُ السمع إلى رفيف بغيظ (عروقتُ أجنبية وقحة كوالدتك، و الآن
(إن أخبرتُ والدها سيقول لي كالأبله: دعي ابنتي و شأنها، لا تُزعجها

كان نضال يقود سيارته بيديه المرتعشتين و هو يتذكرُ كلام الطبيب (إنها كتلةٌ خبيثة
عليك بإجراء جراحة في أقرب وقت ممكن ، هناك احتمالية للنجاح و يبقى الأملُ بالله،
(أو سنتبع خطوات العلاج لتأخير انتشار المرض

أوقف سيارته أمام مكتب صديقه المحامي مروان و هو يسندُ ذراعهُ على الحائط
بسبب خوفه من المرض

كانت كريمة تشاهد التلفاز حينما أتى إليها نضال و أخبرها عن ما قاله الطبيب، و عن
قراره في أن يسافر إلى بريطانيا بعد أن تحدث إلى صديقه معاذ الذي يعملُ كطبيب في

أحد المشافي هناك كي يقوم بحجز موعدٍ له من أجل إجراء العملية، أبدت كريمة
(تعاطفاً و أخذت تبكي بصوت مرتفع) يا إلهي، حبيبي يا نضال فاليحفظك الله، آآه آآه
-أخفزي صوتك لا أريدُ أن تعلم رفيف، أريدها أن تركز في دراستها ريثما أعود
مسحت دموعها بعنف و هي تنظرُ نحو نضال بكراهية لخوفه الزائد على رفيف بينما
يغرسُ هو راسه بين كفي يديه

حلّ المساء خرج حسن بسيارته برفقة زينب و هو يحاول أن يتجاهل التفكير بببلا)
(إلى أين تفضلين أن نذهب؟؟)

زينب: لا يهم، المهم أن نكون معاً

(قام حسن بتشغيل الراديو) ما بينا معاد لو احنا بعاد ، أكيد راجع و لو بيني و بينو بلاد
سرح في ذاكرته و وصل إلى اللحظات الجميلة التي قضاها مع ببلا حين كانا في
البستان التابع لوالدها حيث كان يحملها لتقوم بقطف الثمار العالية ليتناولانها و هما في
غمرة من السعادة و الانشراح، عليه الآن أن يصارح نفسه بأن ببلا ستُلغى تدريجياً من
حياته لكن كيف لهذا أن يحدث بعد أن علقت أنفاسها في رنتيه، إنه يتنفسها

كان الظلام يبتلع الشمس شيئاً فشيئاً، خرجت رفيف للقاء إياد بعد أن ودعت والدها
الذي أخبرها بأنه مسافرٌ بموجب العمل، كانت تشعرُ بعدم الارتياح فهي تكرهُ البقاء
في المنزل من دون والدها، لكنها صممت على تنفيذ ما اتفقت عليه مع بيسان لتختبر
إياد، صعدت إلى سيارته بحماس (يا إلهي كم أنا جائعة، أعرفُ مطعماً بالقرب من
(هنا، ما رأيك بأن تدعوني إليه إن طعامه لذيذ

وصلا إلى المطعم و جلست برفقته حول أحد الطاولات التي يجاورها جدار زجاجي
يطلُّ على الرصيف، جاء النادل فبدأت رفيف بطلب معظم وجبات الطعام الموجودة
(في القائمة، بينما ينظرُ إليها إياد مصدوماً) لماذا كلُّ هذا!!!، هذا كثير

قلتُ لك إنني جائعة، أشعرُ بأن شهيتي مفتوحة، يا إلهي نسيتُ أن أطلب العصير و-
.....المياه الغازية، إيها النادل

كانت تنظرُ نحو إياد و هي تلعبُ بشعرها و تدندن إحدى الأغنيات بصوت منخفض، بينما يجلسُ آدم حول أحد الطاولات القريبة يراقبهما، كان يرى في رفيف الفتاة الغنية السخيفة الغير مبالية بشيء سوى الضحك و اللهو.

امتلات الطاولة بأطباق الطعام، أخذ إياد ينظرُ إلى رفيف التي بدأت بتناول الطعام و بدت له غريبة التصرفات، انتبهت رفيف إلى وجود أحد الأطفال الفقراء ينظرُ إلى الطعام من الزجاج المجاور لهما و يبدو بأنه كان جائعاً ، أشارت له بالدخول

إياد: ماذا تريدين منه؟؟، لماذا دعوته؟؟

رفيف: يبدو جائعاً و الطعام كثير سيأكلُ معنا، أصمت لقد أتى

طلبت من الطفل الجلوس بجوارها و وضعت أمامه طبقاً يحوي من شتى أنواع الطعام الموجود بينما كان ينظرُ إياد إليهما و هو يشعلُ غضب، لم يستطع ضبط أعصابه أكثر فنهض من مكانه (أحضرتني إلى هنا و طلبت كل شيء في المطعم و لم أتفوه بكلمة و الآن تقومين بدعوة المتسولين ليتناولوا معنا الطعام، لااااا هذا كثير، هل (تظنين أنني أقطفُ المال من الشجرة

وقفت رفيف مصدومة بحديثه الذي جعل عيون الحاضرين تتوجهُ نحوهم ثم تركها و غادر، جلست في مكانها محرجة من نظرات الموجودين، طلبت من الطفل أن يكمل طعامه و الدموع تلمع في عينيها

كانت بيلا جالسةً مع والدها في الصالة و الخوف يسيطرُ عليهما بعد تدهور الأوضاع الأمنية في جميع القرى المجاورة، و نزول القذائف التي تسقطُ على قريتهم لتنهز الأرض من تحتهم كلَّ قليل (عندما يطلعُ الصبح ستسافرين إلى لبنان، أقيمي لفترة (عند خالتك أم حسن، أرى أن الأوضاع تزداد سوءاً مع الوقت

بيلا: و أنت؟

لياس: لن أترك المنزل و الأرض التي قضيت سنين من عمري و فياً لها إلا و أنا جثة تعانقُ والدها بحنية/ لا تتحدث هكذا، إما أن نبقي معاً أو نغادر معاً، إياك أن تظنَّ أنه (من الممكن أن أغادر من دونك

كان الوقت يمرُّ حتى غفت عيني الياس على الأريكة ، أما بيلا نهضت بقوة بعد أن سمعت أصوات إطلاق ناري قريب من المنزل، توجهت للنظر عبر النافذة لتجد

الحرائق قد نشبت في الأراضي المجاورة و عناصر يرتدون الأسود ووجوههم مغطاة
يركضون بين الأشجار

أيقظت بيلا والدها و هي ترتجف من الخوف(أبي، أبي، إنهم قادمون)، توجه لياس
مسرعاً ليحضر المسدس من حيث يخبئه، بينما أمسكت بيلا هاتفها و اتصلت بحسن
الذي كان موبائله يرن في غرفته الفارغة بينما يجلس هو مع زينب في أحد المقاهي
يتبادلان الأحاديث، كان يحاول تناسي بيلا و يجرب الاستمرار كأنها لم تكن على
الرغم من أن كل تفصيل صغير حوله يأخذه إليها و إلى الذكريات التي تربطه بها

كانت كريمة مستلقية في أحضان مروان ، لقد قضى الزمن على حبها لنضال الذي
أعطى كل مشاعره لابنته رفيف و أهملها فبحثت عن اهتمام من مصدر آخر لتقيم
علاقة غرامية مع صديقه

نهض مروان ليغادر المنزل قبل قدوم رفيف و هو يتحدث (لا تقلقي سيكون كل شيء
(. على ما يرام، و سيحدث ما نسعى إليه، ثقي بي

في الحين التي كانت فيه رفيف تمشي في أحد الطرقات المؤدية إلى المنزل و هي
تتحدث إلى الهاتف المحمول(جعلني أذفع الفاتورة، تخيلي لو لم أكن أحمل المال!!،
شعرت و كأنني كنت أشحد الطعام منه، نهض كالأبله و صرخ في وجهي أمام
الحضور، تمنيت لو أنني مت قبل هذا)، كان آدم يتبعها بخطوات بطيئة و في إحدى
الحرارات الفارغة أخذ يقترب منها بهدوء لكنه سرعان ما ابتعد و تظاهر بأنه يمشي في
طريقه عندما رآها تشير لمروان الذي ظهر في نفس المكان بشكل مفاجئ

كان باب منزل لياس يُطرق بقوة بينما يقف هو و بيده المسدس و خلفه بيلا، قام
الرجال بخلع الباب و توجيه المسدس نحوهما، فقام لياس بتوجيه المسدس نحوهم بيده
(المرتجفة) اتركونا و شأننا أرجوكم، ابنتي، لا تؤذوا ابنتي

قام أحد الرجال بإطلاق الرصاص على صورة النبي عيسى المعلقة على الحائط ثم
إطلاق النار على رأس لياس بينما هو يتوسل إليهم، سقط لياس أرضاً بينما بقيت بيلا
مصدومة و كأن عقلها لم يستوعب ما حدث بعد

قام أحد الرجال بإمساك بيلا من شعرها وجرها إلى غرفة والدها ثم كشف عن وجهه لترى جواد أمامها (هل تظنين أن جواد ينسى، هل الكلب الذي أرسلته لي ليهينني (سيتمكن الآن من تخليصك مني أيتها هالعاهرة

أخذ يقترب منها و هو يضربها بينما ترجوه بأن يتركها غير قادرة على المدافعة عن نفسها بعد أن رأت والدها يُقتلُ أمامها، رماها على السرير فسقط الكتاب الذي كان فوقه على الأرض و سقطت منه ورقة أشبه بالرسالة

عندما انتهى من تعنيفها و الاعتداء عليها، بقيت هادمة على الأرض كوردة ذابلة بينما أخذ يتجول في أنحاء الغرفة و هو يسخرُ منها، لفنت نظره الورقة فأمسكها و أخذ يقرأ محتواها بصوت مرتفع (لياس، أدركت بعد هذا الوقت بأنني أخطئت في حقك و حق ابنتي، لكنني كنت شابة طموحة، شعرت حينها أن الزواج و الإنجاب ليس الشيء الذي سعيتُ إليه، كما أنك لم تكن منصفاً، ما كان عليك أن تخبرني بين الانفصال و التنازل عن ابنتي نهائياً، أعلم بأنك تحبني و ربما ظننت بأنك ستمنعني إن وضعتني أمام خيار كهذا كما أعلم أن التنازل كان خطيئة و أنني ربما لهذه اللحظة أعاقبُ عليها، أرجوك أرسل لي صورة لها أو على الأقل أعطني عنوانكم، إنني أرسلُ دوماً إلى بريد (شقيقتك و لا أعلم إن كانت رسائلي تصلك، أرجوك

ضحك بأسلوب مستفز بينما ظهرت اختلطت ملامح بيلا الدامية بالدهشة (أم تخبريني أن أمك ميتة أيتها الوضعية، هههههههه

دخلَ حسن إلى المنزل ليجد والدته جالسةً في الصالة ، جلسُ بجوارها (غريب لم تسأليني عن زينب بحماس كعادتك، إنها فتاة لطيفة لكنني أظنُ أنني لن أنسى بيلا ، إنني (!!!) أحاول لكن ماذا إن فشلت

تردُ أم حسن بغصة: و منذ متى كان الحبُ شرطاً للزواج، ستتزوجها بني و ستحبها لاحقاً

حسن: أمي ما الأمر!!! ما بك؟

تنهضُ أم حسن بحزن: عليك أن تنسى بيلا لا أظنُ أن بيلا موجودة بعد الآن، إنسَ يا بني في النسيان حياة

جُنَّ جنون حسن: ماذا تقصدين!!! هل حصل لها مكروه!!! ما الذي حدث!!! قولي لي

أم حسن: لقد سيطر التنظيم على قريرتهم و نشبوا فيها الحرائق و الآن يرتكبون
المجازر بحق السكان.

أسرع نحو غرفته و أمسك الموبايل ليجد مكالمة فائتة من بيلا و رسالة كتب فيها (
(أردتُ أن أودعك، سنكون أموات

عاود الاتصال بها إلى أنه وجد الرقم خارج التغطية لكم المرأة في يده مراراً و
تكراراً حتى سالت الدماء منها، ركضت و الدتة إليه محاولة تهدئته/هدء من روعك
بني، اهدأ أرجوك، إنه قضاء الله)، جلسُ على الأرض باكياً (لقد اتصلت لتودعني، لا
أظن أنها تذكرت أحد آخر في تلك اللحظات، أردت أن تودعني، لم أجب، لم أجب
(لأنني شخصٌ أناني و تافه، ابتعدي يا أمي لا أريدُ أن أرى أحداً، اتركيني لوحدي
نهض من مكانه و أخذ يحطم كل شيءٍ حوله بينما انسحبت و الدتة خارجاً بإصرار منه

كان الشتاء يودعُ الخريف، في تلك الليلة البكماء و قبل أن يحين موعدُ العملية اتجه
نضال إلى المنزل الذي كانت تقيمُ فيه ليالٍ طرق الباب و قلبه ينتفض، لا يدر من أين
سيبدأ الحديث و هل سيفيدُ الاعتذار بعد وجع السنين، هل ستزول الندبة و تعودُ
التجاعيد إلى شبابها كأنها لم تتألم و لم تهرم، كانت كلُّ قطرةٍ من دمه تعيشُ ثورتها
الخاصة و هو يحاول صياغة كلمات الاعتذار (ليالي أنا أسف، ابنتنا رفيف تعيشُ
معي، أنا من اختطفتها) أوقفت هذه الحرب الداخلية العجوز البريطانية التي فتحت له
الباب و أخبرته بأنها اشترت المنزل منذُ زمن و أنها لا تعلمُ شيئاً عن مالكته

عاد أدراجه إلى المشفى و هو يحملُ فوق ظهره ندم السنين، كان له في كلِّ شارع
ذكرى، أخذ الأطباء يجهزونه للعملية و الخوف يغزو ثناياه ترى هل ستكون ليلتةُ
الأخيرة أم أن القدر سيمنحه فرصةً ليطلب الغفران

كانت رفيق تمشى برفقة بيسان في شوارع الشام القديمة و نسما ت الهوا ء الرقيقة
تلاطف شعرها، بدأت تشعر بالبرد و كان على كلٍ منهما أن تعود لمنزلها بسبب تأخر
الوقت، على الرغم من أنها كانت تضحك كثيراً إلا أن الحزن كان يخدش قلبها بسبب
غياب والدها و تصرف إباد المخيب معها.

مشت لوحدها بينما بدأت قطرات المطر بالنزول، كانت تتمنى لو أن والدتها حية
لتفتح لها الباب حين تعود، أن تستلق بجوارها في السرير لتروي لها قصة كما لو
كانت طفلة.

توقف آدم بسيارته بجوارها و هو يضع قناعاً أسوداً، اقترب منها بهدوء ثم قام بوخزها
بإبرة مخدرة في عنقها .

كانت كريمة تتجول في صالة المنزل ذهاباً و إياباً، متمنية أن يصلها خبر وفاة نضال
لتعيش حياتها من جديد برفقة مروان.

رناً هاتفها المحمول فركضت نحوه لتتلقى خبر الوفاة، كان الخبر صادمًا على الرغم
من أنه متوقع، لم تُرد أن تفكر بعشرة السنين و بأن هذا الشخص الذي قضت معه في
شبابها أجمل الأيام لم يعد موجوداً، أخذت تفكر بالثروة التي ستنالها و بالسعادة التي
تنتظرها مع مروان.

على الرغم من أن حسن لم يؤمن بالماضي إلى أنه قد نسي حياته هناك، كان جالساً في
مكتبه يسترد جميع ذكرياته مع بيلا و كأنه يسكن في ماضيه و يرغب في أن يعيشه
من جديد، تذكر اللقاء الأخير ، كانا يمشيان بين الأشجار، بدى كل شئ مسالماً و ساكناً
بينما يلاطف الحب أعماقهما وقف أمامها و نظر حوله ثم اقترب منها برومنسية
ليسرق قبلة لكنها ابعدهتة بخجل فأمسك بيدها و طبع قبلة عليها ثم ضمها إليه و هو
يلامس بأصابعه شعرها الحريري.

عاد من ذكراه متنهداً و أخذ يدور في رأسه حوار سابق لهما

حسن: حتى لو تزوجت من أخرى و تزوجت أنتِ سنبقى نحب بعضنا، ستكونين معي
في جميع الأحوال.

ترد بيلا بغضب: ما الذي تقوله!!!، أما أن أكون لك أو أكون لغيرك و أنت بالمثل، أنا
لا أقبل أن أشارك و أشارك

حسن: أكره نفسي عندما أعني ما أتحدثه لكن لا أعلم ما قد يخبئه لنا المستقبل ، لا أريد
أن أخسركِ، إنتي كالشريان الموصول إلى قلبي لا أستطيع أن أعيش إلا بكِ

نهض من خلف مكتبه و توجه إلى غرفة المدير ، ألقى عليه التحية ثم أخبره حازماً عن رغبته في ترك كتابة التقارير حول الحالات الإنسانية حالياً و طلب الخروج مع المصور كمراسل حربي إلى سوريا كبديل عن المراسل السابق بعد إصابته هناك في قرية قريبة من قرية بيلا.

استيقظت رفيف نظرت حولها لتجد أنها بمفردها في تلك الغرفة الموحشة، لم يكن في الغرفة نوافذ، لم تعلم كم تكون الساعة و فيما إذا كان الصباح قد حلَّ أم لا، فتح تامر الباب بهدوء ثم دخل إليها، كانت تنظرُ نحوه مترقبَةً ما يريدُه منها، أخرج من جيبه سكيناً حادة و نظرَّ إليها و هو يضعُ إصبعهُ السبابة على شفثيه محذراً (هسسسس، (إن حاولتِ التذاكي سأقتلك

أخذ يمشي نحوها و هو ينظرُ إليها بخبث بينما يفك أزرار قميصه، أمسكت بالكرسي الذي كانت مقيدة عليه و ضربتهُ به، اندفع نحوها بقوة و هو يحاول تثبيتها على الأرض بينما تصرخ طالبةً المساعدة فقام بلكمها حتى كادت تفقد الوعي، خرج مسرعاً عندما سمع صوت باب الغرفة المجاورة يفتح

(كان آدم قد استيقظ لتوه التقى بتامر في الصالة/ ما الأمر!!!، ما هذا الصراخ؟؟ كانت تصرخ و حين دخلت ضربتني بالكرسي محاولةً الهرب ما كان عليك أن تفك- وثاقها

ارتدى آدم قناعه و دخلَ إليها غاضباً، كانت لا تزال مرمية على الأرض لم تكن تستطيع التمييز بينهما فأجسامهما متقاربة و يرتديان نفس الثياب و الأقنعة، اقتربَ منها آدم بينما تحاولُ الدفاع عن نفسها و هي تتألم من اللكمات، نهض بها بقوة و قام بإجبارها على الجلوس على الكرسي و إعادة تقييدها ثم وضع اللاصق على فمها و (حين انتهى تحدث بحقد/جنسُ نجس، أفاعي

كان حسن و المصور يغطيان الأحداث من خلف عناصر الجيش الذين يقومون بالاشتباك، كان الجو بارداً و كانت أيديهم التي كادت تتجمد من الخارج تتحركُ بكل حيوية رغبةً في الحياة و الانتصار

بعد ليلة نارية مشتعلة تمكن الجيش من السيطرة على القرية المجاورة لقرية بيلا و رفع أحد عناصر الجيش العلم السوري على سطح البلدية التابعة للقرية

رفع حسن يديه بعد هطول المطر بغزارة و أخذ يدعي بخشوع (يا رب لا تؤذيني بها،
(أريدها منك حلالاً فأحفظها لي يا الله

طوال سنين و بيلا تتساءل تُرى ما الخطأ الذي ارتكبته بحق جواد حتى قابل حُبها له
بهذه الإساءة لكنها اكتشفت مؤخراً أن قوانين الإنسانية لا تنطبق على جميع البشر فهو
يتغذى على أي شخصٍ كي يحيى و يحقق متطلباته حتى لو كان بدافع التسلية

كانت مستلقيةً و هي تعانقُ ركبتيها من البرد في أرضٍ منزلٍ قديمٍ ممزقة الثياب و
جلدة رأسها ظاهرة بعد أن حلق لها شعرها على الصفر

رجَّ المنزلُ بأكمله بعد نزول قذيفة قريبة وسقط أحد جدرانها، فتحت عينيها و نهضت
ببطء متوجهةً إلى الفراغ الذي خلفه الجدار، استرقت النظر إلى الخارج لتجد جواد
جثة هامة، كان الظلام قد خيم و الجوار يبدو فارغاً، تقدمت بخطوات خائفة و هي
تلتفتُ حولها ثم ركضت بجسدها الوهن إلى حيث لا تدري ما النهاية

كانت كريمة تقوم بمساعدة مروان ببيع كل شيءٍ كان يملكه نضال دون أن تخبر أحد
بأن نضال قد مات كي لا يتم إفساد ما يفعلانه، ففي الحين الذي ذهب فيه نضال لمكتب
مروان ليسجل كل ممتلكاته باسم رفيف، قام مروان بإعطائه مجموعة من الأوراق
لتوثيقها بصمته و توقيعها و من بينها أوراق تنازل لكريمة عن كل شيءٍ، و ثقة نضال
بمروان قام بالإمضاء و وضع بصمته دون أن يقرأ المحتوى كامل

في حين كان آدم يحضر الإفطار و كلمات سيلينا تمرُّ في ذهنه (لقد تزوجته سيكون
كل شيءٍ هين، ستعود عليك فائدة كبيرة إن عملت معي، عد إلى رشدي، كفَّ عن
التصرف كالأطفال و السير وراء قوانين الحب التقليدية فالنجعل من قصة حبنا غريبة
(و ممتعة

اقترب تامر من رفيف التي لا تزال مقيدة و هو يضغطُ بأصابعه على آثار اللكمات و
يضحك كما لو أنه يلهو، دخل آدم يحملُ الإفطار و قام بإزالة اللاصق الذي على فمها
حاول إطعامها لكنها رفضت و هي تنظرُ إليه باحتقار (اتصل بوالدي أو بكريمة، أريد
(أن أحدثهما، هيَّا أريد أن أحدث والدي، اتصلا به

تامر: هاتف والدك لا يعمل أيها الحمل الوديع، وكريمة ترفض الاعتراف بأنك ابنتها
و أنها تعرفك، لكن لا تقلقي سنحاول مجدداً (أخذ يلعبُ بخصلات شعرها) إن لم
تجب سنستفيدُ منكِ بشكلٍ آخر

قام آدم بالاتصال بوالدها لكن الرقم كان خارج الخدمة ثم اتصل بكريمة و لما أجابت
وضع الهاتف بالقرب من رفيف و قد فتح مكبر الصوت، تحدثت بصوت مبجوح (
خالتي أنا حقاً مخطوفة، إنها ليست مزحة، أرجوكِ تصرفي، تحدثي لوالدي، افعل
شيئاً

و ما ذنبي أنا، هل ذنبي أنك تسكنين الشوارع حتى وقت متأخر، قولي للخاطفين _
سأعطيهم المزيد من المال إن أبقوكي لديهم ههههه

ما الذي تقولينه!!! ، لماذا تتحدثين معي هكذا؟؟ _

قامت كريمة بإنهاء المكالمة، تسارعت أنفاس رفيف من ردة فعل كريمة، نظر كل من
تامر و آدم إلى بعضهما متساءلين عما يحدث، اقترب منها تامر و أمسك بطبق الحساء
(و أخذ يشربُ منه و هو يحدثها (اممم ما الأمر؟ ، ماذا سنفعلُ بكِ الآن؟؟

ضغط على مكان الكدمة و هو يضحك فبصقت عليه (عليكما قتلي قبل أن تقتربا
مني)، رشقها بالحساء على وجهها بعصبية، فأمسكه آدم بغضب لما فعله و قام
بإخراجه من الغرفة، عاد إلى رفيف، نظرَ إليها و هو لا يدري ما يفعل (هل
أحرقكِ!!!)، جلب قطعة قماش بعد أن ببلها بالماء البارد، تحدثت و دموعها منهمرة (
(. أبي سيدفعُ أي شيءٍ لأعود إليه، لكن أرجوكم لا تقتربوا مني

إنه يخيفك فقط، لن نقوم بإيذائك إن لم تقومي بفعلٍ أحمق-

إنه مختل، مريضٌ نفسي حاول إيذائي بالفعل-

ماذا فعلت؟-

بدأ يمسحُ لها وجهها برفق، لتلتقي عينيه بعينيها بين الحين و الآخر و هو يزور
بنظراته ملامحها بينما تخبره عما فعله تامر دون أن يبدي أي ردة فعل أو تجاوب مع
حديثها

استطاع حسن الوصول إلى القرية مع عناصر الجيش، ركضَ إلى منزل العم لياس و المصور يتبعه ، دخلَ مسرعاً لينصدم بجثة لياس المنتفخة التي لا تزالُ في مكانها، (التفت إلى المصور / لا تصور أي شيء هنا، اتركني لوحدني من فضلك

توجه إلى غرفة بيلا بتردد و أنفاسه متسارعة فوجدها فارغة، ثم إلى غرفة والدها ليجد قطرات من الدماء اليابسة على الأرض و خصل شعر بيلا تملأ المكان، انحنى و التقط خصلةً منه بحسرة (تُرى ماذا فعلوا بك؟، الأوغاد) قبلها ثم وضعها في جيبه و خرج ليتابع البحث في باقي أرجاء المنزل بنبضٍ متسارع و خطوات مترددة خشية أن يراها جثة هامة

كان بعض عناصر الجيش ينتظرون أمام المنزل، توجه أحدهم لالتقاط ثمرة برتقال منظرها لذيق موجودة على أحد الأشجار في الحديقة، خرجَ حسن من باب المنزل و ما إن وصل العنصر إلى الشجرة حتى انفجر لغمٌ لتندثر الشظايا و يتلون الجو بلون التراب.

مرّت بضعة أيام، كانت كريمة تجلسُ برفقة مروان في المطار تنتظرُ حلول موعد الرحلة، اتصل بها الرقم ذاته الذي يتصلُ منه الخاطفين، فتحت الخط لتسمع صوت رفيف (أرجوكِ ساعديني، أنت تعلمين ما الذي ممكن أن يفعله والدي إذا عاد و علم (أنكِ تصرفتي هكذا، ساعديني و أعدك أني لن أخبره بشيء

هل تظنين أنك تخيفيني أيتها الصعلوكة الصغيرة، نسيتُ أن أعزيك بوفاة والدك،- أبقىت خبر وفاته سراً كي لا تحزني ههههه

لا تمازحيني، هذا موضوعٌ لا يحتمل المزاح-

اطمئني عزيزتي لا أمازحك، كان رجلاً طيباً رحمه الله-

وقع الموبايل من يد رفيف و هي بجوار آدم الذي يستمعُ إلى المكالمة، سندها بعد أن كانت ستسقط ثم جلست على الأرض مصدومة، هي لحظاتٌ و بدأت بالصراخ و النحيب، كان آدم مصدوماً، لم يسبق أن مرَّ عليه موقفٌ مشابه، اقتربت من الطاولة حيث ترك آدم مسدسه ، اقترب آدم لانتراعه منها لكنها سرعان ما وضعته على رأسها و ضغطت الزناد لكن الرصاصة لم تخرج فهو غير مهيبٍ لاطلاق النار، انتزعهُ آدم (منها /يكفي

إنه أبي، إنه حياتي، كيف سأكمل من دونه، آاااااه يا ربي، آااااه، طوال هذه الأيام و- هي تسخرُ مني، كيف سأعيشُ معها، أريد أبييييي، يا الله، أريد أبي

أمسكت يدَ آدم التي يمسكُ فيها المسدس و هي تنظرُ إلى عينيهِ و تبكي بمرارةٍ / اقتلني، اقتلني أرجوك، يمكنك بيع أعضائي بعد الموت و الحصول على المال الذي تريده، اقتلني سأسامحك، لا أستطيع تحمل قسوة هذه الحياة من دون والدي، بدأت كريمة التي (ربنتي كوالدي بالانتقام، إنهم لا يحبونني، الجميع يكرهونني ، اقتلني أرجوك

وجه المسدس نحوها فأغمضت عينيها و الدموع تسيل منهما مستسلمةً لقدرها، ثم وضع المسدس جانباً، شعرَ بأنه وحيدٌ أيضاً و لا يوجد في هذه الحياة من يحبه بصدق و أنه مثلها لكنها كانت أشجع منه و طلبت الموت، فتحت عينيها (لماذا لم تطلق النار، هيا، سيكون هذا قتلاً رحيماً)، حضنها كما لو كان يحضنُ نفسه من الداخل (كُفي عن (البكاء، الحياة لا تتوقفُ عند أحد، عليك أن تكوني قوية

لم تكثرث لغرابية الموقف، كانت بحاجةٍ إلى حضنٍ تبكي بدفئه، حتى لو كان حضناً كاذباً، كان كل نبضٍ في جسدها يبكي معها حتى استنزفت كل قوتها و سقطت أرضاً

كانت أم حسن ترتجفُ شاحبة الوجه و هي متوجهةً إلى الغرفة الموجود فيها حسن في المشفى، وقفت مع الطبيب أمام الغرفة ليطمئننها بأن إصابته في الكلية لم تكن بالغة، دخلت فنظرَ إليها ، اقتربت منه و أخذت تمررُ يدها على شعره (الحمد لله على سلامتك، كيف تفعلُ هذا بي!! ، ذهبتُ إلى مديرك و علمت أنك أنت من طلبت الذهاب في هذه المهمة و أنها لم تُفرض عليك، لماذا تُعذبُ نفسك و تعذبُني، لماذا يا أمي (!!!لماذا

حسن: لقد قتلوا العم لياس ، رأيتُ جثته بعيني، أما بيلا فالله وحده يعلمُ فيما إذا كانت حية و ما هو العذاب الذي تعانيه معهم

أم حسن: رحمه الله ، الموتُ سيكونُ أكثرَ رحمةً لها أدعو الله أن تكون مينة

حسن: لا أمي، لا ، لا تتحدثي هكذا، لا أحتمل فكرة أن تكون قد ماتت أو أن أدعي عليها، إيالك أن تدعي عليها يا أمي أرجوك، ادع لها، ادع لها فحسب

كان آدم في الغرفة المجاورة جالساً مع آدم يتناقشان فيما حدث بينما كانت رفيف منهارة الأعصاب في غرفتها

آدم: لنتركها، لنعتبر بأن هذه العملية لم تكن، ستموت إن بقيت هكذا، ترفضُ الطعام و!! الحديث، طوال الوقت بكاء و زوجة والدها لا تريدها، ما الذي سنجنيه منها

تامر: سنعيدها دون أي فائدة!!!! يمكننا أن نجني الكثير أو على الأقل نستطيع الاستمتاع معها لا تكن معقداً، إنها فاتنة

آدم (بحزم): لا، تعلم أن القتل أهون بالنسبة لي من فعلٍ كهذا، أحضرناها لأجل الفدية فقط

تامر (بسخرية): يعجبني فيك أنك منحرفٌ له مبادئ، إذا يا صاح اذهب و أحضر لها أكرم، سيوخزها بإبرة مهدئة و يعطيها دواء حتى يتحسنُ حالها ثم سنقوم بالتفاوض معها ربما لها حسابٌ في البنك مثلاً، حتى لو أطلقنا سراحها سنعقد معها اتفاقاً بحيث تعطينا المال أو نهدها بالقتل

خرج آدم من المنزل لإحضار الطبيب الذي يتعاملُ معهم، استغل تامر غيابه و دخلَ إلى غرفة رفيف و أخذ يحاولُ الاقتراب منها رغماً عنها، لم تكن تملك قوة كافيةً للدفاع عن نفسها، كانت متعبة بالكاد تقوى على فتح عينيها، استسلمت لما سيحدث، لم يشعر تامر إلا بيد أحدهم أمسكت بقبعة معطفه و دفعته بعيداً عنها، كان آدم قد عاد بسبب معرفته بنية تامر لكنه أراد أن يمسك به متلبساً، كان إن اشتد غضبه أضحى كالمجنون، أعاد الإمساك بتامر بقوة من السترة التي يظهرُ طرفها تحت معطفه و أخذه إلى الغرفة المجاورة ثم دفعه ليسقط في أرضها (لقد خنت ما اتفقنا عليه، و من يخون مرة لا يمكن الوثوق به مجدداً، كنتُ مخطئاً عندما اعتبرتك صديقاً مخلصاً للعهد

تامر: ما بالك تُصعبُ الأمور، لا شئٍ مما نفعله أخلاقي، ثم إنها كأني فتاة من!! صديقاتنا ستكون هذه بداياتها ثم ستصبح عاهرة، هل تحسبها شقيقتك

وجه آدم المسدس نحوه (اصمت و إلا قتلتك، و هذا ليس فقط تهديد، تعلمُ أي من (الممكن أن أفعلها، أنا من أحضرتها و أنا الآن سأعيدها

كانت زينب و والدتها تجلسان في الصالة مع أم حسن بعد أن جاءتا لزيارة حسن، خرج حسن من غرفته و هو يضعُ يدهُ على جرحه و ألقى التحية ثم جلس دخلت كل من أم حسن و أم زينب للمطبخ لتحضير العشاء كي تتركا فرصة لكل من حسن و زينب ليتحدثا براحتهما

زينب: اشتقتُ لك، خفتُ عليك كثيراً

حسن: و أنا أيضاً

نهضَ حسن من مكانه بينما تنتظرُ إليه زينب مستغربة (أنا متأسفٌ جداً جرحي يؤلمني
(سأدخلُ لأرتاح ، بالإذن

(نهضت (هل أساعدك؟؟؟

-لا، ابقِ جالسة، أستطيع الذهاب لوحدي

دخل إلى غرفته بينما توجهت زينب إلى المطبخ لتساعدهما و هي تكتُم في قلبه احزناً
كبيراً بسبب مزاجية حسن في معاملتها

حلَّ المساء، كانت رفيف متكورةً على نفسها و هي تمسكُ بكفي يديها طرفي سترتها و
تضمهما إلى بعض بعد أن شقهما تامر، دخلَ آدم إليها و أعطاهما معطفه لترتيديه، ثمَّ قام
بلفِ قطعة قماش حول عينيها و كبلَّ يديها إلى الخلف، ساعدها على الجلوس في
سيارته ثمَّ قاد بها من تلك المنطقة النائية إلى أقرب تجمع سكني و قام بإنزالها و متابعة
طريقه

مرَّ أسبوع لم تخرج فيه رفيف من المنزل أبداً، جاءت عمته لزيارتها طامعة بما
ورثته عن والدها، مقترحةً عليها أن تذهب معها إلى القرية أو أن تتزوج من أحد
أبناءها و يأتي للسكن مع رفيف، لم تكن رفيف تحبُّ السكن في قرية والدها بسبب
العادات القديمة هناك كما كانت تعلمُ بأن عمته لم تكن حنونةً عليها أبداً، في نفس
الوقت لم تكن ترغبُ في الزواج من أحد أبناءها، كانت ترغبُ في البقاء في منزل
والدها للأبد دون أن تفكرَ في أي شيءٍ آخر أو أن يتسلل أحدٌ من أقاربها إلى حياتها
الخاصة، و بعد أن فشلت عمته تحدثت بغضب (على ماذا كُلُّ هذا الغرور!!! ، هل
تظنين بأنكِ أفضلُ حال منا، لا أشعرُ أنك تنتمي لعائلتنا ، إنكِ غريبةٌ عنا، ابنةُ تلك
المرأة البريطانية المجهولة و التي تحاولين دوماً التشبه بالأجانب لأجلها، ابقِ هنا
لوحديك ما شأني أنا بكِ، فالتبقِ هنا حتى تصبحي هيكلاً عظيماً، هل تظنين بأن أحد
سيرغبُ بالزواج منكِ لجمالِكِ أو حباً لكِ، جميعهم طامعون، كنتُ أريدُ أن أكسب بكِ
(حسنة بأن أزوجك أحد أبنائي لكنك لا تستحقين

لم تردَّ رفيف على كلماتها لم يكن لديها رغبةٌ في الحديث معها أكثر، نهضت العمة نحو
الباب الخارجي و هي تتحدثُ إلى نفسها (هذا ما كان ينقصني، عليكِ حمدُ الله إن وافق
(أحدُ أولادي على الزواج منكِ، تظنُّ نفسها ملكة بريطانيا، الأميرة ديانا

كانَ آدم جالساً في سيارته يترقبُ باب منزل رفيف، منذُ أن أطلق سراحها و هي لم تغادر فكرهُ أبداً كأنها زرعت نفسها في أعماقه.

كانت رفيف نائمة، حين سمعت طرق الباب، فتحت الباب لتجد بيسان التي أخذت تخبرها بأن الشقة الخاصة بالدها نضال و المجاورة لشقتهم يسكنُ فيها أناس غرباء و انهم أخبروها بأنهم قاموا بشرائها من كريمة.

و بعد أيام من البحث في الموضوع علمت بأن كريمة قد باعت معظم الأملاك بداعي السفر و أن المحامي مروان هو من كان مشرفاً على عمليات البيع و الشراء، كانت تشعرُ بأن هناك شيئاً غير منطقي، خصوصاً أنها علمت بأن مروان مسافر فيما يعني بأنهما قد سافرا معاً، كانت تفكرُ في نفسها هل يعقلُ بأن والدها قد سجل معظم أملاكه لكريمة، أم أن هناك شيئاً غير قانوني مما يفسر اختفاء كريمة و مروان) لكن جميع الأوراق كانت قانونية لذا لم يكن بوسعها فعل شيئ، و لم تكن راغبةً بفعل شيئ أيضاً.

كانت الثلوج قد غطت الأراضي و سطوح الخيم في مخيمات اللاجئين السوريين على الحدود اللبنانية، توقفت سيارة حسن و نزل منها مع صديقه المصور جورج

جورج: أهلاً بك من جديد، مآسي من نوع آخر ستنتظرننا، هنا بؤرة من الحالات الإنسانية الصعبة.

مشياً بين الخيام، ثم أوقفَ حسن إحدى السيدات للحديث معها : نحن صحافة ، إننا تابعون لقناة تلفزيونية نعدُّ تقارير عن الحالات الصعبة ثم تظهر هذه الحالة على التلفاز و يقوم أحد المتبرعون بتقديم المساعدة الكافية لها، أريدُ منك أن ترشدينني إلى أكثر شخص تظنين أنه بحاجة إلى المساعدة هُنا .

أم سليم: ألا ترى الوضع الذي نحن فيه، إننا جميعنا بحاجة إلى المساعدة، أنظر إلى الثلوج و إلى المياه التي تتسربُ إلى الداخل.

حسن: سيدتي أنا متأسفٌ جداً نحنُ نناقشُ الحالات الفردية، شخص ما بحاجة إلى عمل . جراحی، إلى طرف صناعي ، إلى علاج نفسي أو جسدي معين .

أم سليم: آه لقد فهمتُ عليك، يوجدُ صديقتي وجهها مشوه بالكامل تقريباً هل بإمكانكم مساعدتها.

حسن: إن شاء الله، هل بإمكانك إرشادنا إلى خيمتها.

أم سليم: تفضلاً سوف أذهبُ و أندُهُ لها فخيمتها تسربُ الماء أكثر من خيمتي

يدخلان للانتظار بينما تذهبُ أم آدم لتندد لصديقتها

كانت أم علي جالسةً تشربُ كأساً من الشاي وهي تغطي وجهها بالوشاح لإخفاء التشوه و في إحدى أطراف الخيمة تستلقي بيلا بجسدها الوهن و رأسها الذي بالكاد قد نبت الشعرُ فيه و قطرات الماء تتساقطُ عليها من سطح الخيمة، قدمت أم علي لبيلا كأساً من الشاي (ليكون الله معنا يا ابنتي، ليساعدك الله على الأسرار و الألم الذي تخفيه خلف (صمتك هذا

دخلت أم سليم بفرح) جاء من بإمكانهم مساعدتك لتعالجي الضرر الذي في وجهك (تعالي معي

دخلت أم علي إلى خيمة أم سليم و الأملُ يلمعُ في عينيها، و بعد حديث طويل حددا لها يوم الثلاثاء في الأسبوع القادم كموعدا للقاء الذي سيجري معها على التلفاز لمساعدتها في إصلاح ما يمكن إصلاحه من آثار الحروق البالغة التي في وجهها

توجه حسن مع جورج إلى السيارة و هو يشعرُ بضيق في صدره، فالوضع السيئ في المخيم و كلُّ فردٍ فيه كان يأخذه إلى التفكير في احتمالية أن تكون بيلا تعاني أصعب . من هذا في ظل هذا البرد القارص و الوحشية التي نمت في قلوب معظم الناس

نظرت أم علي إلى أم سليم و هي تفكر: كان علي أن أخبرهم بوضع تلك الفتاة في خيمتي إنها تثيرُ شفقتي، أشفقُ عليها أكثر من نفسي، تبدو محطمةً بالكامل

أم سليم: أيتها هالحمقاء فكري في نفسك أولاً و بعد أن تجدي المتبرع الذي سيتولى أمرك، أخبريهم عنها، ثم إنني لا أظنُّ أنها بحاجة إلى شيءٍ و بالنسبة للألم النفسي فكلنا هنا نتألم

. أم علي: نحن نتألم و نتكلم لكنها تتألم بصمت

اقترب المساء من القدوم، كان صوت الرياح قوياً و كأنها أرواحٌ تصرخ، كانت رفيف خائفة فهذا الجو يجعلها تشعرُ و كأنها موجودة داخل أحد أفلام الرعب

قام آدم بالنزول من سيارته أمام منزل رفيف و قد غيّر النمط الذي كان يرتدي به الثياب عندما احتجزها، طرقتُ باب المنزل ففتحت له مستغربةً هويته، حدثها مبتسماً (مساء الخير، أليس هذا منزلُ الطبيب نضال

نعم، تفضل ما الأمر؟-

رحمة الله، كان أباً رائعاً، ليس فقط لك بل لي أيضاً-

(استغربت كلماته و تحدثت بفرح) هل أنت شقيقي!!، هل هو متزوج من غير كريمة

آدم(بضحك): لا في الحقيقة أنا يتيم ووالدك كان كأبي لي، قصة طويلة

جلسا في الداخل بعد أن دعتة للدخول، نظراً إلى الحزن الذي كان يسيطر على ملامحها لاحظتُ بأنك سررتِ عندما ظننتِ بأني شقيقك!! ، هل ترغبين في أن يكون (لديك شقيق

نعم-

غريب!، من يكتشفون أن لديهم أخ غير شقيق بعد وفاة والدهم يشعرون بأن الأمر- كارثي

أنا وحيدة، هم ربما ليسوا كذلك-

أليس لديك أقارب؟؟-

لدي زوجة أب تركتني بعد وفاته و عمّة لا تحبني، و بالنسبة لأهل والدتي فأنا لا أعلم- من يكونون حتى

على أي حال أنا جنّتُ إليك لأخبركِ بأنكِ لستِ وحيدة، أنا بجانبك، إنني ممتنٌ لوالدك- و سأكون سعيداً لو اعتبرتنني صديق مقرب

بدأ آدم يروي الأكاذيب حول علاقته بوالدها، أخذا يتحدثان عن حياتهما الشخصية ليسألها إذا كانت مرتبطة، جعلّ الأمل يمشي في عروقها مجدداً و أخذت تتحدّثُ إليه بانسراح (كنتُ أحبُّ شخصاً، لعنه الله، جعلتهُ يدعوني إلى أحد المطاعم و قمت بطلب كل شيء كي أختبر كرمه لكنه اختلق مشكلةً و غادر ليجعلني أدفعُ كل ما كنتُ أحمله و أعود مشياً إلى المنزل، فشل في الاختبار و علمتُ حينها بأنه بخيل، البخيلُ لا يمكنُ احتمالُه، كنتُ أراه بعد دوام الجامعة و أنا جائعة و أبقى جائعة حتى أعود إلى المنزل، (أه أنا آسفة

لماذا تعتذرين ما الأمر؟-

أخشى أن تكون أنت بخيلٌ أيضاً!! فأنا أهينك الآن، لماذا أنت صامت هل أنت بخيل؟،-
في الحقيقة البخل أيضاً له جانب إيجابي، سيبقى الجسمُ رشيقياً من قلة الطعام كما سيتم
. حماية الشخص من العديد من الأمراض .

كانت تضحكه على الرغم من أنه ليس بشوشاً، كانت تدغدغ قلبه بعفويتها، يرمقها
بينما تتحدث و يندمجُ معها في الحديث لينسيها حزنها، كان صوت الرياح يعلو فتظهرُ
علامات القلق على وجهها، تسائل عن السبب لتخبره عن خوفها من هذه الأجواء،
(هي دقائق و انقطع التيار الكهربائي (يا إلهي هذا ما كان ينقصني

لا تخافي، سأبقى هنا إن رغبتِ حتى يهدأ الجو، بإمكانك الخلود للنوم، تصرفي كأني-
غير موجود

أنا حقاً متأسفة، لا أريدُ أن أشغلك عن أعمالك، علي أن أعتاد على هذا الوضع، يجب-
أن أتأقلم على كل شيء

عليك إن تعادي عندما لا أكون موجوداً، إنتِ الآن مسؤوليتي، و هذا لا يزعجني،-
جئتُ إليك بإرادتي لم يرغمني أحد

سهرامعاً و طال بينهما الكلام، كلما عرف شيئاً جديد عنها كان يشعرُ بأنها تقتربُ من
قلبه أكثر، كان الجو عاصفاً كأن الرياح لم ترغب في المغادرة، طلبت منه أن ينام في
غرفة والدها بسبب تأخر الوقت و ذهبت هي للنوم في غرفتها

كان حسن جالساً في غرفته يتأملُ صور بيلا على حاسبه المحمول منذ بداية معرفته
بها حتى آخر لقاءٍ لهما، دخلت إليه والدته و جلست بجواره

أم حسن: التقت إلى حياتك، يكفيك غوصاً في الماضي، أنظر إلى زينب كم تحبك،
انساهها

يتحدثُ و هو يضربُ بقبضة يده على صدره: إنها هنا في قلبي، لا أستطيع انتزاعها،
من أخبرك أن النسيان متاحٌ دوماً، اختفت، اختفت و هي جريحة القلب، لقد خذلتها،
بعد كل سنين الحب و كل اللحظات التي شهدت على شغفنا، ارتبطتُ بفتاة أخرى كي
لا أغضبك و ها أنا حتى الآن أفعلُ ما تريدين، لكني لا أستطيعُ أن أكون إلا هكذا، هذا
أنا حين أترك الفتاة التي أحبها لأتزوج من أخرى

تدنو أم حسن منه برفق: كنت تضيعُ عمركَ لأجل فتاةٍ لن تكون لك، كيف لي أن أترك ابني الوحيد معلقاً بين السماء والأرض، ثم إنك شابٌّ مؤمن، و تعلم بأن الله شيئاً إذا كتب شيئاً لك فسوف تأخذه حتى لو اجتمعت كل الأرض لتأخذه منك

خشيت أم حسن بطلبٍ منه و هي تخشى أن يبقى حال حسن هكذا حتى بعد زواجه من زينب.

أصبح يخاف عليها كما لم يخف على أحد من قبل، كان يأتي يوماً إليها، يحضر لها كل مستلزمات المنزل، كان يوقفُ أي شيء يقوم به إذا حلَّ المساء و سمع صوت الرياح تتأرجحُ في السماء، لم يعد يشربُ حتى يثمل، أما هي كانت سعيدة بوجوده في حياتها، غدا قريباً منها حتى أعطته نسخة من مفاتيح المنزل و أصبح شبه مقيم في غرفة والدها، كانت قد انقطعت عن دوام الجامعة بعد ما حدث معها، لأن كريمة سحبت كل المال الذي كان في حساب نضال، كانت رفيف تعلمُ أن المبلغ الموجود في حسابها لن يساعدها على أن تكمل دراستها في الجامعة الخاصة حتى تتخرج منها

في أحد الايام فتحَ آدم الباب و دخل، كان المنزلُ مظلماً من الداخل و يطغى عليه السكون، كان يعلمُ بأن الظلام يخيفها أخذ ينده بقلق (رفيف!!، رفيف!!)، أضاءت كرة كبيرة تحتوي على دوائر صغيرة ينطلقُ من كل دائرة ضوء بلون مختلف عن مجاوره و سمع صوت أغنية (سنة حلوة يا جميل) بينما ظهرت رفيف و هي تحملُ قالب كاتو تضيئُ على وجهه الشموع المشتعلة على شكل شرارات و هي تغني مع الأغنية، لم يحظَ باهتمام كهذا من قبل، شعرَ بسعادة لم يشعر سابقتها، اقترب من رفيف و حضنها شاكراً ثم ابتعد متأسفاً بعد أن لاحظ ارتباكها

بعد سهرة طويلة دخلت إلى الغرفة التي يقيم فيها لتحضر له القداحة و بعد أن خرجت بقليل بدأت تضحكُ بهستيرية ثم تبكي بنفس الطريقة و هي تصرخ، اقترب منها بلهفة ليعلم ما الذي يحدثُ معها لكنها دفعته بقوة كما لو كانت قوة رجل، أخذت تمرُّ أظافرها على وجهها و جسدها كأنها تريدُ انتزاع لحمها، دفعها أرضاً حتى اصطدم رأسها بالأرض بقوة، لكنها لم تبدي أي ردة فعل اتجاه الألم نتيجة الضربة، أمسكها من يديها و هو يبعدهما عنها كي لا تؤذي نفسها متوسلاً لها بأن تتوقف عن ما تفعله، استطاعت الإفلات من بين ذراعيه و أمسكت السكينة الموجودة بجوار قالب الكاتو و هي تضحكُ و توجهها نحو عروق يدها لتقطعها، هجمَ عليها بقوة فقامت بسبل السكين في ذراعِهِ، أخذ يصفعها و يضربها بكل ما يملك من قوة حتى فقدت الوعي، كان الدم

يسيلُ من فمها و أنفها، اقترب منها بلهفة متأسفاً مصدوماً مما فعلته و مما فعله(رفيف، هل أنت بخير، أنا حقاً آسف)وضع يده على ذراعه ليرى الدم السائل منها بغزارة، ثم حملها و وضعها على سريرها و هو يفكرُ في تفسير لما فعلته، توجه مسرعاً إلى غرفته ليجد ظرف الحبوب المسكنة الذي كان قد استبدل محتواه بحبوب مخدرة ينقصُ أربعة أقراص.

رمى بالظرف على الأرض و سحقه بقدمه ثم جلس على السرير و أخذَ يلكمُ رأسه بيده، شعرَ بأنه يكره نفسه و يكره كل شيءٍ يفعله، لقد أذى أعلى شخص على قلبه في كل الكون.

مرَّ يومين، تحسن حالُ رفيف، فسر لها آدم ما حدث على أنه نوبة عصبية بسبب الضغط النفسي الذي تعرضت له سابقاً، بكت بسبب الجرح العميق الذي أحدثته في ذراعه فحضرها طالباً منها أن لا تكثرث، كانت خائفة من أن يتكرر الأمر و أن تقوم بإيذاء نفسها أو إيذاء آدم مجدداً، أخذ يهون عنها (لا تقلقي لقد أخبرني الطبيب أن هذا (لن يتكرر و أن هذه الحالة تحدث لمرة واحدة بسبب التراكمات النفسية

ماذا لو تراكمت تفسيتي مجدداً!!!، هل سأصبحُ مجنونة، يا إلهي، فمُ بزيارتي في- المشفى أركوك، لكن تعلم؟؟، يواسيني بأني سأكون مجنونة بكاريزما و لست مجنونة بسخف، سيقوم كل المجانين بالخوف مني و سأتولى قيادتهم لنسيطر على العالم، هذا جيد، هناك جانبٌ إيجابي.

كانت تتحدثُ و هي تضحكُ بينما تقطرُ الدموع من عينيها، كان يعشقُ تلك الضحكة التي كانت تجدُ مكاناً على وجهها مهما ساءت الأمور.

أتى يوم الثلاثاء، كانت الأمطار غزيرة و الثلوج لم تذب بعد كما أن نسيمات الهواء كانت تستطيع أن تصل للعظام لشدة برودتها، كانت أم علي جالسةً في خيمة أم سليم تنتظرُ قدوم حسن و جورج ليأخذاها إلى حيث سوف يتم معالجة وجهها متأملة بأنها لن تخجل من تشوهاها لاحقاً و ستتمكن من إظهار وجهها دون أن تغطيه بالوشاح.

كان بعض الصحفيين يقومون بتصوير الأحوال السيئة هناك في حين وصلت سيارة جورج و حسن و نزلا منها نحو خيمة أم سليم، ما إن سمعت أم علي نداءهما حتى بدأت بالتأهيل بهما بينما قامت أم سليم بتضييفهم بعض الشاي الساخن ثم توجهت مع أم

علي نحو السيارة و قبل أن يصعد الجميع بها سمعت أم علي صوت ولدٍ يصرخُ و هو يلهث : أم علي... يا أم علي... لقد ماتت الفتاة التي في خيمتك

أخذت أم علي تركضُ نحو الخيمة بينما يركضُ خلفها كلُّ من حسن و جورج، و ما إن وصلوا إلى أمام الخيمة حتى وجدوا الصحفيين يصورون بيلا و هي على الأرض و المياه تكاد تغمرها، لم يكن وجهها ظاهراً باتجاه حسن الذي قام بإقصاء الصحفيين جانباً و الاقتراب منها ليتأكد من موتها، لفها إليه ليدس نبضها لكنه ما إن رأى وجه بيلا الذي يكاد يتلون بالأزرق من شدة البرد حتى ضمها إليه بعنف و بدأ يبكي بهستيرية، أصابت الدهشة جميع الحاضرين و بدأ الصحفيون بالتقاط الصور و تسجيل مقاطع الفيديو، و في غمرة من الحزن المخيم (ليرحمها الله، لا حول و لا قوة إلا بالله، مسكينة،)، سمعَ حسن صوت سعال خفيف أصدرته بيلا، نظرَ إلى الجميع بفرح ((هل سمعتم!!!)، هل سمعتم؟؟؟، لا تزال حية، إنها حية، الحمد لله، الحمد لله

قام بحملها مسرعاً إلى السيارة و برفقته جورج و أم علي ، وضعها في المقعد الخلفي و صعدَ بجوارها في حين قام جورج بالقيادة، أخذت أم علي تتحدث: الحمد لله أنها قد وجدت من يعرفها، منذُ بداية قدومها إلى المخيم و هي لم تتطق بكلمة واحدة، بقيت ساكنة طوال الوقت، لا أعلمُ اسمها حتى، و لا أعلمُ كيف استطاعت المحافظة على الصمت في حين أن كل شيءٍ من حولنا يتطلبُ الصراخ و النحيب، لكن ما أعلمه أنها تستطيعُ الكلام فقد كانت تتحدثُ في نومها أحياناً، صحيحٌ أنني لم أستطع أن أفهم شيئاً... لكنها ليست بكماء، في المناسبة ما صلُّه معرفتكُ بها؟؟؟

كان آدم جالساً مع تامر في منزله بعد أن أصرَّ تامر على لقاءه ليطلب منه العفو عن ما فعله، و ما إن خرج آدم من المنزل و صعد إلى سيارته حتى تبعته سيارة سيلينا التي كانت تنتظره بجوار المنزل، وصل آدم إلى منزل رفيف و دخل دون أن ينتبه لسيلينا التي تراقبه، كان المنزل فارغاً، اتصل برفيف التي أخبرته أنها خرجت لتوها لتزور صديقتها بيسان.

طُرق باب المنزل فنظرَ من العين الساحرة ليرى سيلينا، فتح الباب مستغرباً وجودها (ماذا تفعلين هنا!!!) ، ألم أقل لكِ أنني لا أريدُ أن ألقاكِ؟؟

أخذت تقتربُ منه و تغويه بينما هي تدخلُ إلى الداخل (مشتاقَةٌ لك، أريد أن ألقاك رغباً عنك)، لم يكن من آدم إلى أن بدأ يتجاوب مع ما تفعله و انقاد لما تريد.

لم تكمل رفيف طريقها إلى منزل بيسان بعد أن علمت بأن آدم جاء إلى المنزل، كانت تفضل أن تقضي وقتها معه أكثر من أي شخص آخر، أحبته دون أن تصارح، أحبته بأفعالها وليس بالكلمات، كانت تنتظرُ أمام محل الشطائر و هي تفرك كفي يديها ببعضهما من البرد منتظرة ريثما يجهزُ طلبها لتعود إلى المنزل و يتناولوا العشاء معاً

دخلت إلى المنزل و الابتسامة تعلو وجهها لكنها سرعان ما تلاشت عندما سمعت صوتاً قريباً لصوت امرأة، توجهت إلى غرفة والدها حيث كان مصدر الصوت، كان الباب مفتوحاً سقطت وجبة العشاء من يدها و غطت وجهها، ثم عادت أدراجها و جلست على الأريكة في الصالة و أعصابها ترتجف

مرّت أقل من دقيقة خرج آدم إليها و هو يرتدي قميصه، جلس جاثياً على ركبتيه أمامها بينما كانت سيلينا تستمعُ إلى الحديث بينما تنتهي للمغادرة، أمسك يديها و قبلهما آدم: متأسف لما حدث، أرجوكِ سامحيني، إنها فتاة تربطني بها علاقة قديمة، لا أدري كيف وصلت إلى هنا، لم أرغب بما حدث، لقد قامت بإغوائي

رفيف(تتمالك نفسها): جعلتك تقيم في غرفة أكثر شخص أحبه في هذا الكون، لماذا تلوثُ ذكريات أبي بأفعال كهذه!!!، لم يعد هناك داع لبقائك هنا فظلام البشر أكثرُ وحشةً من ظلام الوحدة

أفلنت يديها من يديه بقوة (لا أريدُ البعد عنك، أحبك من أعماق قلبي، أقسمُ بأنني أحبك، (أخافُ عليكِ أكثر من نفسي، لا تبكي أرجوكِ

(قامت رفيف بمقاطعته و عيناها تفيضان) خذ فتاتك و ارحل

خرجت سيلينا من الغرفة و هي تتحدثُ بكل غرور (هل تظنين أننا ليس لدينا مكانٌ (نلتقي به سوى منزلِك، كفاكِ تظاهراً بالبراءة، هيّا حبيبي لنذهب

نهضَ آدم و صرخ في وجهها(أتركيني و شأني، اذهبي في طريقكِ سيلينا، أنتِ لا (تعنين أي شيءٍ لي، اذهبي ولا تستثيري جنوني أكثر

هي المرة الأولى التي تراه رفيف فيها غاضباً لهذا الحد، غادرت سيلينا المنزل و النيران تشتعلُ في أعماقها بينما أكمل ارتداء ثيابه و قام بوضع نسخة المفاتيح التي معه في كف يدي رفيف ثم مسح دموعها التي تكاثرت على وجهها (لا تبكي فأنا لا (أستحق

خرجَ من المنزل مهزوماً، شعرَ بأن كل شيءٍ جميل انتهى و أن السعادة في حياته ستوقفُ عند هذه اللحظة، توجهَ إلى سيارته لتظهر سيلينا أمامه (كيف تجرؤ على أن

تحدثني هكذا أمامها!! ، تُحبها أم تُحبُ مالها؟؟، وكيفك تمثيلاً أعلمُ بأنك غاضبٌ مني
(لما حدث في السابق).

ولدتِ رخيصةً و عشتِ رخيصةً و ستموتين رخيصةً، نعم أحبها لكن أمثالكِ لا-
يعرفون معنى الحب، فأنتِ عبدةٌ للمال

دفعها عن طريقه، فنظرت نحوهً و الحقدُ يتطايرُ من عينيها (ستندمُ على هذه الكلمات،
(أقسمُ أني سأجعلك تندمُ على إهانتني

قادت سيارتها بتهور و هي تتذكرُ طفولتها البائسة التي أمضتها في الطرقات تبيعُ
الأزهار و تشحذُ المال إلى الحين الذي أخذها معه أحد الرجال رغماً عنها إلى منزله و
قام بالاقتراب منها على الرغم من صغر سنها، ثم أخذَ يتاجرُ بها مقابل المال

كانت تحاولُ دوماً أن تبتعد عن هذه الرقعة السوداء من ذاكرتها لكن كلمات آدم جعلتها
تشعرُ بأنها تعيشُ ما حدث مجدداً

طلَّ المساء باكراً كما يفعلُ في فصل الشتاء، دخلَ حسن برفقة بيلا إلى المنزل، كانت
تمشي بخطوات متعبة متجاهلةً النظر إليه بينما تبدو السعادة طاغيةً على وجهه، توقفَ
بؤبؤا عيني أم حسن للحظات عندما رأتها ثم اقتربت منها للاطمئنان إلى حالها لكن
بيلا لم تنطق بكلمة، طلب حسن من والدته مساعدتها في تبديل ثيابها، لكن بيلا ما إن
رأت غرفة الاستحمام حتى توجهت نحوها بهدوء و أغلقت الباب (إنها تؤدُ
الاستحمام) نظرت أم حسن لابنها الذي بقي واقفاً أمام الباب و أكملت حديثها
(سأحضرُ لها ثياباً، جهز لها غرفتك لتبقى فيها لوحدها لا أظنها راغبة في مشاركتي
(غرفتي أو الجلوس مع أحد

طُرقَ الباب بينما تحضرُ أم حسن العشاء، تذكرت بأنها قد دعت زينب لتناول العشاء
معها و مع حسن قبل أن تفاجئها بيلا بقدمها، فتحت الباب و هي مرتبكة و دعته
للدخول

فتحت بيلا باب الحمام لتجد حسن ينتظرها أمامه (لماذا تمنعين عينيكَ من الالتقاء
(!!!)بعيني، هل تعلمين كم أنا مشتاق

أمسكها من يدها فأفلتت يدها منه بنعومة و بعد إصرار منه خرجت لتناول العشاء،
لكنه تفاجأ بوجود زينب التي وقفت مبتسمة لإلقاء التحية ثم نظرت إلى بيلا كأنها
تتساءل من تكون فأجابتها أم حسن بأنها قريبتها و جاءت لتزورهم

مدت زينب يدها لبيلا: أنا زينب خطيبة حسن.

انفطر قلبُ بيلا بينما هي تسلمُ عليها ثم جلست مع الجميع حول المائدة

إلا أنها لم تتناول سوى القليل و نهضت لتنهض معها أم حسن كي ترشدها على غرفة (!!!) حسن لتبقى فيها، نظرت زينب إلى حسن بعد ذهابهما / هل هي خرساء

أخذت بيلا تنتظرُ في أرجاء الغرفة بينما هي جالسةٌ على السرير، فتحت الدرج المجاور للسرير لتجد خصلة من خصل شعرها ، أمسكتها مستغربة في حين طرق حسن باب الغرفة و دخل ليجلس بجوارها و هو يتحدث بحزن / إنها خصلةٌ من شعرك، عندما انقطعت أخبارك سافرتُ إلى سوريا كمراسلٍ حربي للبحثِ عنك، دخلتُ إلى منزلكِ و أصبتُ هناك ، لقد زرعوأ ألغاماً في الحديقة ، ألا يغفرُ لي هذا (شياً!!)، ستبقين هكذا؟؟؟ ، تحدثي أرجوكِ

وضعت بيلا الخصلة جانباً و استلقت للخلود للنوم، اقترب منها حسن و طبع قبلةً على جبينها ثم غادر الغرفة لتأخذ قسطاً من الراحة

أمضى آدم ليلتهُ في سيارته بجوار منزلها و هو يشربُ المشروبات الكحولية

نهضت رفيف من على الأريكة بعد أن غفت عينها في الصلاة، كان كل شيءٍ حولها محطم كأن معركة قد حدثت

غسلت وجهها و دخلت إلى غرفتها لتغطي خبيتها المتفشية على وجهها بمساحيق التجميل، كانت تحاولُ أن تتماسك، أن تنسى

خرجت من المنزل بكامل أناقته متجاهلةً آدم الذي نزل من سيارته عندما رآها و بدى ينظرُ نحوها كما لو أن عينيه تطلبُ الغفران، توجهت نحو إياد الذي كان ينتظرها، ألقت عليه التحية و ذهبت معه بينما بقي آدم في مكانه يتأكلُ من الداخل

عادت رفيف إلى المنزل مع حلول المساء، نظرت إلى حيثُ يوقفُ آدم سيارتهُ في العادة لكن المكان كان فارغاً، شعرت بوخزةٍ في قلبها كأنها فقدت الشخص الذي كان يلونُ أيامها الرمادية، دخلت إلى المنزل، كانت كل الأنوار مطفأة، لم تذكر أنها أطفئت

الأنوار قبل خروجها، توجهت لإضاءة الصالة، فشعرت بذراعين ضخمتين تمسكاتها بقوة من الخلف.

كان آدم يشربُ في إحدى الحانات حين رنَّ هاتفهُ المحمول رأى بأن رفيف المتصلة فأجابها بلهفة لتطلب منه المجيء إلى المنزل، شعرَ برجفة في صوتها، غادر مسرعاً، كان يخشى بأن تكون قد فعلت لنفسها مكروه بعدما بدر منه.

طَرَقَ باب منزلها بقوة ليتفاجئ بأن سيلينا هي من فتحت الباب، ابتسمت له بخبث في حين دفعها جانباً و دخل يندهُ باسم رفيف ليتلقى ضربةً بكعب المسدس على رأسه من أحد الرجال و يسقطُ أرضاً.

فتحَ آدم عينيه ليرى نفسه مقيداً على كرسي و أمامهُ سيلينا تلفُ بأصابعها خصلات شعرها و هي تنظرُ إليه بقوة، التفت بجزع ليرى رفيف جالسةً على الأرض و ذراعيها مقيدتين خلفها، و على الأريكة التي وراءها يجلسُ رجلين ضخمين، كانت نظراتها إلى آدم تكسرُ قلبه.

آدم: اتركها و شأنها، لم تفعل لك شيئاً.

اقتربت سيلينا منها و أخذت تمررُ يدها على شعرها ثم شدته بقوة (هل تعلمين بأن العاشق الولهان هو من اختطفك في سبيل المال، لم أنتِ مدهوشة!!!، إنه هو آدم، البارحة يقوم بإهانتني لأجلك أيتها الثمينة، اليوم سينخفضُ سعرِك ستصبحين رخيصةً و رخيصةً جداً، لن تنتهي الليلة و إلا و أنتِ شخصية مشهورة ههههههه، كما أنني (أحتاجُ إلى إحدى كليتيك هناك مريضٌ محتاج، حرارارارام

كانت كلماتها تخيفُ آدم (لا تقتربي منها، إن كنتِ تريدين الرد على كلماتي أنا أمامك، (افعلي بي ما شئتِ لكن لا تؤذيها

أخرجت الموبايل من حقيبتها و بدأت تصورُ فيديو مشيرةً للرجلين بأن يبدأ، أخذ الرجلين يقتربان من رفيف رغماً عنها بينما تحاولُ الإفلات منهما في حين كان آدم يصرخُ متوسلاً إلى سيلينا بأن تتوقف، و لما قام الرجلين بتثبيت رفيف دون أن تستطيع المقاومة أكثر، طلبت منهما الابتعاد ثم اقتربت من آدم (هل رأيت!!! بإمكانني أن أجعلَ منها أرخص فتاة على وجه الأرض، و أن أجعلَ منها حديث الشارع كما (سأجني المال ببيع الفيديو

أرجوكِ سيلينا، بحق الأيام التي قضيناها سوياً و الحب الذي كان بيننا، اتركها و-
شأنها.

لو كنتَ تكثرُ لما كان بيننا لما حدثتني بهذه السخافة، لما قمت بإهانتني، لما غرست-
إصبعك في جوف جرحي الذي أتناساه و بدأت العبث فيه كي تؤلمني، سأكون أفضل
منك.

مدت يدها نحو وجهه بكبرياء (قبل يدي و أنت تتوسل لي، أريد أن أرى الذل يقطرُ
(. من وجهك القاسي

فعل ما تريده و هو يخفي غضبه لأنه لم يردّها أن تمس الفتاة التي رأى جمال الحياة
في عينيها، ثم اقتربت من رفيف التي عانق وجهها الأرض و هي منهارّة من البكاء و
قربت قدمها منها/ أما أنتِ ستقبلين قدمي كي لا أجعل هذين الرجلين يكملان مابداً به،
(.هيا، هيا

آدم: فعلت ما تريدين، ألم يكفيكِ إذلالِي!!!، دعي رفيف و شأنها

كانت تقرب قدمها من فم رفيف (لا تتدخل أنت، ساعدُ إلى الثلاثة إن لم تفعلي ما
(. طلبته سأنفذ تهديدي

فعلت رفيف ما تريده و دموعها تكادُ تخنقها، قامت سيلينا بفك و ثاق يدي آدم و غادرت
مع الرجلين بينما أخذ يفكُ و ثاق قدميه

اقترب من رفيف وفك و ثاقها، هي المرة الأولى التي ترى فيها رفيف دموعه، دفعته
عنها و نهضت من مكانها و هي تمسحُ دموعها و تتحدثُ بقسوة (أكرهك، عدُ إلى
القاع الذي أتيت منه، أخرج من حياتي و أغلق خلفك بوابة العالم السفلي التي جئت
منها، كم كنتُ مخدوعة، كم خاب ظني فيك، لا أصدقُ بأنك دنيئٌ لهذا الحد، لستم بشر
(. لا أنت و لا صديقك و لا هذه الفتاة المقرفة

اقترب منها فابتعدت بخوف ظناً منها بأنه يريدُ أن يضربها، عانقها بشغف و هو يكبتُ
(دموعه) لا تخافي، أراد هذا الشيطان أن يعانقك قبل أن يعود إلى عالمه فقط

دفعته عنها (إياك أن تلمسني أو تحاول الاقتراب مني ثانيةً)، كان مكسوراً كما لم يكن
من قبل أكمل حديثه قبل أن يخرج (كُنّا أطفالاً نحلّم بأن نلعب كبقية من في سننا في
حين أن الأطفال العاديين كانوا يحلمون بأن يكبروا، أما نحنُ فكبرنا أولاً، ذنبنا أننا
ولدنا في مجتمع لا يبالي بنا، مع والدين لا يكثران إلا لمصالحهما، كأنه ذنبنا بأننا
خُلقتنا أو كأننا خُلقتنا نفسنا بإرادتنا، ما الذي يتوقعه الجميع من قلوبِ ماتت منذُ طفولتها،
قلوبٍ لم ترَ من هذه الدنيا إلا الألوان القاتمة، كان علينا أن نتغذى على غيرنا كي نحيا،
كنتُ أظنُ بأنني أحبها لكن ما شعرته معك كان مختلفاً، أقسم أنني أحببتك، و بدأتُ أتغيرُ
نحو الأفضل، لكنني فشلت، سأعود لأعيش مع عديمي الإنسانية الذين أشبههم، لن
(أقترب منك مجدداً، لأنني لا أريدُ أن يحدث لكِ مكروه بسببي، اعتنِ بنفسك

حركت كلماته مشاعرها لكنها بقيت صامته بينما غادر المنزل مهزوماً و كأنه خسر
أعظم معركة في حياته

سُرعان ما تناقلت مواقع التواصل الاجتماعي صور بيلا و حسن و مقطع الفيديو حول
الحادثة التي حصلت في المخيم تحت عنوان (صحفي لبناني يصادفُ حبيبته السورية
(في مخيمات اللاجئين

لم تكن بيلا تستطيع النوم، أخذت تتقلبُ في الفراش بينما هي تسمعُ صوت أذان الفجر،
نظرت إلى كأس الماء المجاور لها لتجدهُ فارغٌ ثمَّ أمسكت به و خرجت نحو المطبخ
بهدهوء مروراً بالصلاة حيث رأت حسن يقوم بأداء الصلاة دون أن يراها و قفت تتأمله
ثم سمعت دعاءه بعد أن أنهى الصلاة حيث رفع يديه إلى السماء و هو يردد (اللهم يا
جبار، اجبر كسر ها ، اللهم يا جبار، اجبر كسر ها ، اللهم هون عليها ما مضى و اكتب
لها الفرح فيما سيأتي، اللهم اني أطلبها منك حلالاً، اللهم اني أطلبها منك حلالاً، اللهم
(اجعلها من نصيبي و اكتب لنا بعد عسرنا هذا يسراً و فرجاً و اشرح صدورنا يا رب

عادت إلى غرفتها و هي تمسحُ دموعها قبل أن ينتبه لوجودها، جلست على السرير، و
بدأت الأفكار تتخاطر في ذهنها (لماذا لا تضعُ حداً لحزنها الذي بلغ ذروته و تعودُ
أدراجها نحو السعادة، لماذا تقوم بتعقيد الأمور و معاقبة حسن على الرغم من أنها تعلمُ
بأنه يعاني مثلها، ألا يكفي أن الحياة قد حاكت قدرهما بطريقة معقدة، الآن يمكنها
الزواج من حسن، على الرغم من أنها تمننت الموت بسبب ما عانته إلا أنها حاولت أن
(تفكر بطريقة إيجابية

كان حسن ينظرُ عبر النافذة و هو يتأملُ بزوغ الصباح، شعرَ بقدم أحدهم فالتفت ليجد
بيلا واقفةً تبتسمُ له، ركضت نحوه و هي تفردُ ذراعيها و تحضنه بشغف

كانت دموعها تلمع في عينيها من الفرح و كأن أرواحهما المتعانقة كانت تطيرُ
لتلامس حدود السماء

وقفت ليال مع زوجها مالك أمام منزل داليدا (شقيقة لياس)، فتحت داليدا الباب و هي
ترتدي ثياباً سوداءً بالكامل، ما إن رأتها حتى صرخت (ماذا تفعلين هنا أيتها اللعينة،
(ارحلي، عودي إلى الحياة التي تركتي أخي لأجلها لا أريدُ أن أراك

كانت ستغلق الباب لكن مالك وضع يده لإيقافها (أرجوكِ تريد الحديث معك، لو
(سمحتِ؟

داليدا ماذا هناك؟، هل حدث لأحدهم مكروه-

نظرت داليدا إليها باستياء: تتظاهرين بأن الأمر يهمك، لقد قُتل الياس، قُتل الرجل
الذي أحبك و تركتته لأجل أنانيتك أيتها هالنجسية، هجر المدينة، ابتعد عن كل
الناس، أصبح منعزلاً و كرس عمره لأجل ابنته، أنتِ حرمته الحياة و هو حي

تداركت ليالي صدمتها: ابنتي!!!!، بيلا؟؟؟، ماذا حدث لبيلا

!!ابنتك!!!!، ابنتك هل تذكرينها حقاً-

أرجوكِ تكلمي-

ابنتك أيتها الأم الحنون إما مقتولة أو أسيرة لا أحد يعلم عنها شيئاً-

كادت أن تسقط على الأرض فأمسكها مالك(أريدُ أن أرَ أي شيء يخصها، صورتها،
(هل لديك صورتها؟

هل تظنين حقاً بأنني سأحب ابنة المرأة التي دمرت حياة أخي، أنا لم أشعرُ بأنها ابنته-
أساساً، لا أملك شيئاً يتعلق بها و الأفضل أن ترحلي الآن فابنتك و إن عادت لن تعود
حياة

سندها مالك و أخذها من أمام المنزل بعد أن طردتها داليدا لمرات متتالية و غرقت
بالبكاء(تركتُ ابنتي الأولى فسلبني الله ابنتي الثانية، إنني أدفع ثمن ما فعلت، لقد عشت
حياتي بحرية ظاهرة لكنني بقيت سجينة ذنبي، لم تغب بيلا عن بالي يوماً، إن الندم
(يلتهمني، أنا نادمة نادمة، نادمة، نادمة

جلست رفيف في مكانها بانسة، فنظرا إلى بعضهما ثم تحدث أحدهما: يبدو أنك لا تعلمين بالأمر، أين هي السيدة كريمة لنحدثها؟؟

.سافرت-

.الرجل: حسناً، لا تقلقي يمكنك البقاء الآن، سنمهلك أسبوع كي تغادري

طلبت رفيف إياد التواصل مع أحد الرجلين و قام بالتأكد من صحة الأوراق و أن المنزل مسجلٌ في سجلات الدولة على أنه ملكٌ لوالدهما

كانت جالسةً بجواره في السيارة ليخبرها بما توصل إليه (أين سأذهب بنفسني!!، ما معي لا يكفي ثمناً لمنزل و حتى لو قمت بالاستئجار، إلى متى سأتمكن من الدفع، ما (رأيك بأن نتزوج؟، ألسنت تحبني؟

.أحبك نعم أحبك، لكنني لا أفكر في الزواج الآن-

.لماذا؟؟؟، إن كنت تحبني ألا تملك رغبةً في العيش معي؟-

سأكون صريحاً معك رفيف، لو كان الوضع كسابقته كان من الممكن أن أتزوجك،- لكن الآن مستحيل، أهلي يتطلعون لنسب عائلة ثرية و مرموقة و أنت الآن لست كذلك، لماذا تنظرين إلي بهذا الشكل، هل تريدان أن تحمليني تكاليف إقامتك!!، أنا لستُ مسؤولاً عن هذا

صفعتُهُ بقوة (لا أريدُ منك شيئاً يا وجه الحمار، هل تصدق بأن فتاة بجمالي ستحب شخصاً مثلك يخلو من الرجولة، أنا فقط أمضي معك الوقت لأن بيسان مشغولة في دراستها، فتحت الباب لتنزل من السيارة ثم بصقت عليه قبل نزولها

كانت من أطول الليالي في حياة زينب، ارتعشت أصابعها و هي تعيد مشاهدة الفيديو الخاص بحسن و بيلا على الفيس بوك للمرة الثالثة، تحاول تكذيب عينيها، أمسكت الموبايل بيدها المرتجفة و قامت بالاتصال بحسن لكن الخط كان مغلقاً، انتظرت حلول الصباح و هي تعدُّ الثواني بدموعها و ما إن أشرقت الشمس حتى سارعت باتجاه منزله

استيقظت أم حسن لترى حسن جالساً في الصالة مفعماً بالاحيوية و الفرحة عادت تتلأأ في عينيها كالسابق و أمامه فنجانين فارغين من القهوة، جلست بجواره: هل بيلا مستيقظة؟

حسن: كانت مستيقظة لكنها خلدت الآن للنوم فهي لا تزال متعبة.

أم حسن(بقلق): ماذا سيحدث الآن؟؟، ماذا عن زينب؟؟

طُرق الباب فتوجهت أم حسن لفتحه ، لتجد زينب تبدو بائسة و ما إن طلبت منها الدخول حتى دخلت بغضب و بدأت تخاطب حسن و هي تبكي: ما سرُّ هذه الفتاة التي في منزلكم؟؟؟ لماذا أخفيتم الحقيقة!!!، هل حقاً هي حبيبتيك؟؟؟ ، تحدث ما الأمر

أم حسن: اهدئي يا بنتي من أين أتيت بهذا الكلام؟؟؟

زينب: صورهم تملأ مواقع التواصل، لقد كان يعانقها و يبكي ، بدى كشخص لا ..أعرفه، هل الفظاظة خلقت لي فقط!!، هل

اقترب منها حسن و هو خجلٌ من نفسه ، خلع محبس الخطوبة بهدوء و وضعه في (يدها) أرجو أن تسامحيني ، إنتِ فتاةٌ لا تعوض، لكنها في قلبي منذُ البداية

كان آدم ماراً بسيارته من أمام منزل تامر في حين شاهد إياد يخرج من المنزل، أوقف (سيارته و قام بسؤال تامر قبل إلقاء التحية حتى (ما علاقتك بهذا الشاب؟؟؟

أيُّ شاب-

لا تتظاهر بالغباء، الشاب الذي خرج لتوه ما علاقتك به؟؟؟-

إنه يعملُ معنا لكنه يفضل أن يبقى خلف الكواليس-

ما علاقتُهُ بخطف الفتاة التي تشاجرنا من أجلها؟؟-

تذكرتُ تامر كلمات إياد حينها (إنها فتاة ثرية، وحيدةٌ لوالدها، سيدفعُ أي مبلغٍ تتخيله (لأجلها، لكن ليكن لديك العلم منذُ البداية أريد 50% من المبلغ

كانت رفيف تمسّطُ شعرها المبلول بعد أن خرجت من غرفة الاستحمام، توجهت نحو الباب لتفتحه

كان آدم واقفاً كأنه غريب، لا يدري من أين سيبدأ الكلام، خشي على قلبها من ما سيقوله، فتحت الباب و لمعت عيناها عندما تعانقت النظرات

آدم: أعلمُ بأن رؤيتي تزعجك، لكن كان يجبُ بأن ألقاك، الأمرُ مهم

أدخل-

جلسا في الصالة و تابعت تسريح شعرها في انتظار ما سيقوله بينما يتأملها
(بحسرة/امم ما الأمر؟)

لا أعلم إن كنت ستصدقين، لا أقصدُ إفساد علاقتك بذاك الشاب، أقصدُ إياد، لكن علي-
أن أحذركِ منه، إنه لا يحبكِ

ما الجديد؟؟ أعلمُ بأنه لا يحبني-

هو من أرشد الشاب الذي كان معي إليك لنخطفك، علمتُ هذا مجدداً و شعرتُ أن-
علي إخبارك، هل صدقتني؟

لم يعد يهم، إنه لا يعينني-

نهضَ من مكانه ليغادر، فأمسكت بيده(يمكنك البقاء إن رغبت، سأسافرُ بعد يومين إلى
(القرية و ربما لن أراك مرة أخرى، سأقيمُ هناك

(عاد إلى مكانه) ماذا حدث؟ ألم تخبريني بأنك لا تحبين القرية و عمك لا تحبك؟

صحيح، لكن علي مغادرة المنزل، جاء مالكيه، اكتشفتُ مجدداً أن كريمة قد باعته-
قبل سفرها

ما رأيك أن أتدبر لك منزلٌ قريب من هنا؟، سأتولى دفع أجاره، لن تري وجهي إن-
كانت رؤيتي تزعجك

لماذا ستفعلُ هذا؟-

لا أريدك أن تبتعدي، حتى لو لم أراك سيكون قلبي مطمئنٌ بأنك قريبة، سيبقى في-
قلبي أمل بأن ألقاك حتى لو صدفة، أملٌ بأن يتم جبر ما تم كسره بيننا

رفيف(تضحك): لقد قمتُ اليوم بطلب يد إياد، تخيل الأمر، لم أكن جادة و بالأصح لم
أفكر فيما قلته كنتُ في حالة صدمة بأن علي مغادرة كل شيء هنا، رغبتُ في معرفة
ردة فعله حيال هذا

(كان آدم يبتسم تلقائياً عندما يرى ضحكتها/ماذا قال لك؟)

أخذت تقلد ما فعله إياد بسخرية: رفعَ وجهه عالياً و أخبرني بأنه إن فكر بالزواج
سيتزوج من فتاة ثرية، صدق نفسه و صدق بأنني أحبه، لكني لم أبق صامته صفعته
حتى كاد رأسه يلتصق بالزجاج و وبخته حتى أنزل وجهه المرفوع إلى صدره ثم
بصقت عليه و غادرت

(اقترب آدم و جلس بجوارها ليكون قريباً منها أكثر) لم كنتُ تخرجين برفقته إذا؟

رفيف(بغصة): لا أدري، أردتُ أن أنسَ ، لكني لم أستطع، كان كل شيءٍ يذكرني
بالأيام التي قضيناها معاً

في أول مرة دخلتُ فيها إلى المنزل لم أكن أحملُ في قلبي إلا الحب، كل ما حدث لم-
يكن متوقِعاً، لم أكن أرغبُ إلا في أن أكون قريباً منك، كنتُ أكرهُ كل شيءٍ و إلى الآن
أنا أكره كل شيءٍ إلا أنتِ، أنتِ عالمي الذي لا أريدُ أن أعيش في سواه، انسِ ما حدث (
قام بتقبيل يدها و هو ينظرُ إلى عينيها) هل تقبلين الزواج مني؟

ارتبكت و انقبض قلبها ثم انشرح ، قام بضمها إلى صدره بحنان و همس في أذنها(ألن
(. تقولي شيئاً؟؟

أحبك-

حلَّ الصباح، كانت لا تزال نائمة بينما يقوم آدم بتحضير الإفطار عندما طُرق باب
المنزل، فتح الباب ليجد رجلاً غريباً (صباح الخير، أنا الطبيب معاذ صديق نضال
(. رحمه الله هل بإمكانني أن أقابل ابنته رفيف

دخلَ إلى الصالة بينما قام آدم بإيقاظ رفيف التي سرعان ما غسلت وجهها و خرجت
لترى ما الأمر، و بعد إلقاء التحية، أعطاه رسالة ورقية و هو يقول (هذه الرسالة
أعطاني إياها والدك قبل دخوله للعمليات، طلب مني أن أعطيها إياك باليد إن حصل له
(. مكروه و لم تسمح لي الفرصة حينها بالمجيئ إلى سوريا

سألته رفيف عن تفاصيل الحادثة و كان الحزنُ يرسمُ لوحة على وجهها أثناء حديثه
بينما يمسكُ آدم يدها مواسياً

رافقه آدم إلى الباب الخارجي بينما فتحت رفيف الرسالة بشوق، كان قد شرح لها فيها
ما فعله بطفولتها و أن والدتها لا تزال حية، طلب منها أن تبحث عنها و تطلب منها أن
تغفر له على ما فعله، كان قلبها يضخُ الدم بعنف بعدما قرأته، كما ذكر لها أنه سجل
كل شيءٍ باسمها ، و في نهاية الرسالة ذكر لها اسم والدتها الكامل

لم تصدق أن والدها قد فعل ما فعله و أخفى عنها الأمر كل هذه السنين، نهضت ببطء
و دخلت إلى غرفتها لتحضر حاسبها المحمول بينما أخذ آدم يقرأ الرسالة ليعلم ما الذي
جعل ملامح رفيف غير واضحة التعابير بحيث لا يستطيع أحد تفسير ما في داخلها

كانت ليال تقيم مع زوجها مالك و ابنيها التوأم (جود و جاد) في قصر كبير فاخر في العاصمة اللبنانية بيروت، كان مالك يملك مطعماً فخماً أما هي كانت تعمل في مجال تنظيم الحفلات بالإضافة للكتابة

كانت ذاهبة لحفل توقيع روايتها الأولى في معرض بيروت للكتاب، و هي بقمة الأناقة و الجمال.

كانت تقوم بتوقيع روايتها لبعض القراء في حين كان ينتظر آدم و رفيف قدوم دورهما ليقتربا منها و لما اقتربا قامت رفيف بإعطائها صورتها و هي صغيرة لتخبرها بأنها ابنتها.

(.....!!!!!!). نهضت ليال من مكانها و الكلمات بالكاد تخرج من فمها (أنت

أشارت رفيف برأسها علامة الإيجاب، فاقتربت منها ليال و عانقتها كأنها أرادت أن تروي ظمأ سنين من الشوق

سرعان ما انشهرت رواية ليال بسبب الموقف الفريد الذي حدث أثناء حفل التوقيع ، أقامت لكل من رفيف و آدم حفل زفاف ضخم بعد أن طلبت من أشهر مصممي الأزياء في المنطقة تصميم فستان زفاف مميز و دعت إلى الحفل شخصيات مرموقة

أقامت رفيف مع آدم في قصر عائلة والدتها كان الجميع سعداء بوجودهما بينهم، التحقت رفيف مجدداً بالجامعة لتكمل دراستها في حين أصبح آدم يساعد مالك في إدارة المطعم، إستطاع الحب أن يضيئ النور في قلب آدم المنطفيء، كان يشعر بالسلام الداخلي، خَلَع ما كان عليه كأنه يخلع سترةً بالية، أحياء الحب مجدداً ليصبح شخصاً ودوداً ، كان يشعر بالراحة في كل صباح يفتح فيه عينيه ليرى رفيف نائمة بجواره كالملائكة، و يدخل الفرخ إلى قلبه في كل حفلة يصنعها المحبين ليسعدوا أحبائهم في المطعم الذي يعمل فيه، أما بيلا كانت تعيش براحة و هدوء بسبب حب حسن الفائق لها، أصبح زوجها كان يخشى عليها حتى من نفسه، ألغى قنوات الأخبار و منع وجود أي شئ من الممكن أن يحيي داخلها الألم الذي عانتها، لم يكن لديها أي رغبة في البحث للتعرف إلى والدتها بعد أن تخلت عنها، استنتجت بعد كل تلك السنين السبب الذي كان وراء حزن والدها و شروده الدائم/ لقد عاش مكسور الفؤاد، لا أرغب في أن أعلم أي شئ عن تلك المرأة القاسية، كانت تجلس على السرير بعد أن أيقظها، كابوس موجه،

نهض حسن من مكانه بعد أن كان نائماً وضمها إليه كما كان يفعل في كل مرة تسوء حالتها النفسية بسبب ذكريات الماضي همس في أذنها (أحبك، لا بأس، فالنكمل نومنا) جعلها تستلقي بين أحضانها و هو يداعب شعرها حتى غفت عينيها و نامت من جديد

(يمكنكم الإمساك بي لكن ما من أحدٍ بوسعه أن يلتقط أفكارِي، إذا أعجبتكم الرواية
شكراً و إن لم تعجبكم ف *sorry* سامحوني باليز..... إدموووووووني (بصوت
أم كلثوم لما غنت إسمعوني).

كرهتُ الواقع، أحتاج للقليل من الخيال، في البداية تبدو الخيبة صادمة، تجعلُ أرواحنا
تقفُ مذهولة من هوية الطاعنين، نعتاد موت الأجزاء ، و الجرح العميق سرعان
يصبحُ ندبة فتغدو الصدمة جزءاً من شخصيتنا عقدة نفسية يراها من حولنا ولا
نبرها.

/////// يُدمرنا الوطن بينما نبنيه

:الأعمال السابقة

الحب على شرفات الموت

ابق حياً مهما كلف الأمر

(الزيف) بدل مفقود

بعيداً عن النسيان

